

من سير القديسين



القديس العظيم
مار أفرام السرياني
قيامة الروح

٧/٢٦٢
١٢

٧ / ٢٦٢

+ الرقم العام : ١٤٦١٦
+ الرقم الخاص : ٧ / ٢٦٢
+ القسم : ١٢

مشاهير الآباء

سيرة وأقوال
مارأفرآم السرياني
قيثارة الروح.

الراهب القمص
سمعان السرياني

✠ مكتبة ✠
بَيْتِ السَّيِّدَةِ الْعِزَّةِ (السِّيَّاهِ)

١٤٤٥

سيرة وأقوال مارأفرآم السرياني
قيثارة الروح
الراهب القمص سمعان السرياني

الكتاب : سيرة وأقوال مارأفرآم السرياني قيثارة الروح .

المؤلف : الراهب القمص سمعان السرياني .

الطبعة : الأولى يونيو ١٩٨٨ م .

المنظمة : الأتيا رويس (الأوفست) - العباسية .

رقم الإيداع بدار الكتب : ٨٨/٣٣٥٨ .





القديس مار أفرآم السرياني
عن صورة قديمة بمكتبة دير العذراء السريان



قداسة البابا المعظم الأتابشونود الثالث

بابا الإسكندرية وسائر أقاليم الكرازة المرقسية

(١١٧ ج ١)

إهداء

إلى العظيم في القديسين قيامة الروح القديس مارأفرآم يا من تركت العالم منذ ستة عشر قرناً إلى الحياة الأبدية، بعد أن جاهدت الجهاد الحسن وأكملت السعى وحفظت الإيمان، وأخيراً وضع لك إكليل البر (٢تى ٤ : ٧) .

يا من كنت دائم التبكيت لنفسك على خطاياك بدموع كثيرة، يا من كنت مثلاً لإنكار الذات والاتضاع، والصبر والاحتمال، والدفاع عن الإيمان المستقيم الذي للأرثوذكسية .

إليك أهدى هذا القليل من الكثير الذي لك، يا من تركت لنا أقوالك الثمينة، فكنت ومازلت سراجاً يضيء لكثيرين .

بل وأهدى هذا إلى آبائي وأخوتي، وإلى كل من يتوق إلى حياة القديسين .

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين .

مقدمة الطبعة الأولى

لنتقدم أولاً بالشكر لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح إذ في كل زمان وفي كل مكان نشتم من آباءنا القديسين رائحة جهادهم الروحي الذي بمثابة بخور طيب، ومثل منار يضيء للآخرين . فالصديق كالنخلة يزهر، وكمثل أرز لبنان ينمو (مز ٩٢ : ١١) .

شهية جداً هي أخبار القديسين الذي سكنوا الجبال والمغائر وشقوق الأرض محبة في الملك المسيح .

قد سبق أن تفضلت التربية الكنسية بكنيسة السيدة العذراء بالزيتون فاهتمت بنشر أقوال القديس مارأفرآم السرياني عن التوبة، وإذ أقواله لها الطابع الروحي

العميق: فقد تساءل البعض عن سيرته ، وشاءت إرادة الرب أن يكون هذا في ذكرى نياحته (١٥ أبيب) إذ قد مضى إلى فردوس النعيم منذ أكثر من ستة عشر قرناً حيث النياح الأبدى عام ٣٧٣م ، وما زالت طلباته لأجلنا نحن الغرباء في هذه الحياة التي مصيرها الانتهاء أن آجلاً أو عاجلاً .

ها هو القليل عن سيرة هذا القديس إذ كان يعيش حياة التوبة وتبكيته الذات ، لم تفارقه الدموع كما يشير إلى ذلك القديس اغريغوريوس أسقف نيصص في مديحه له قائلاً : إن أفرآم كان في ذرف الدموع ومدامتها بصورة الإنسان الذي لا يمكنه أن يعيش بدون التنفس . بالإضافة إلى أقواله وأناشيده ذات المعنى الروحي العميق لذا يلقب « بقيثارة الروح » وحيثما نقرأ عن فضائل القديسين يجب أن نمثلهم فنعمل ونسلك طريقهم ليكون لنا معهم ميراث في الحياة الأبدية « عاملين بالكلمة لا سامعين فقط » (يع : ١ : ٢٢) بشفاعة سيدتنا والدة الإله القديسة مريم وطلبات أبنينا القديس مارأفرآم وجميع آبائنا القديسين الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة .

وصلوات أبنينا الطوباوى صاحب القداسة والغبطة البابا شنوده الثالث ، وأبنينا الطوباوى نياحة الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان العامر . كما أقدم الشكر الجزيل لكل من له تعب معنا في هذا الكتيب — ولإلهنا كل مجد وإكرام إلى الأبد آمين .

برية شيهيت المقدسة

١٥ أبيب ١٦٩١ش

٢٢ يوليو ١٩٧٥م

تذكار نياحة القديس أفرآم السريانى

أحد رهبان

دير السيدة العذراء - السريان

مقدمة الطبعة الثانية

«أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله» (١يو٣ : ١)

نشكر إلهنا الصالح الذى وهبنا صفة البنوة له.. بل ومازال لا يكف عن مناجاة نفوسنا فى كل حين قائلاً: «ها أنت جميلة يا حبيبى..» (نش ٤ : ١).

ولن يشوه تلك النفس الجميلة الخالدة التى لها صورة الله سوى الخطية!.. لكن لكثرة تحننه بعد أن تم خلاصنا بنفسه على الصليب أعطانا علاجاً شافياً لموت الخطية.. إنه «سر التوبة» الذى له الأهمية الكبرى لحياة كل مؤمن بل ويسبق أى سر من أسرار الكنيسة السبعة.. كما أكد السيد المسيح له المجد بضرورة ممارسته على رجال الكهنوت إذ قال لهم: «اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تغفر له ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم» (يو ٢٠ : ٢٢، ٢٣).

كما يصفها الآباء بأنها معمودية ثانية، ولادة جديدة أم الحياة... إلخ.

إن آباؤنا القديسون تركوا لنا درراً ثمينة نتيجة لخبراتهم الروحية العميقة بعد أن تركوا العالم وعاشوا حياة التوبة الحقيقية لأجل خلاص نفوسهم..

ومنذ أكثر من إحدى عشر عاماً تفضلت كنيسة السيدة العذراء بالزيتون فنشرت لنا سيرة القديس مارأفرآم السريانى ثم أقواله عن التوبة والآن نقدمها لك فى كتاب واحد، فى طبعة مزيدة وأضفنا أقواله فى الحياة الروحية.

ليعطنا الرب حياة التوبة المستمرة قارعين صدورنا فى انسحاق تام كالعشار «اللهم ارحمنى أنا الخاطيء» (لو ١٨ : ٣).

ولنسرع إليه دون تأجيل كالابن الشاطر فيقبلنا إليه بفرح قائلاً «ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً فوجد» (لو ١٥ : ٣٢) بشفاعة أمنا كلنا والدة الإله العذراء القديسة مريم وجميع السمائيين وطلبات القديس مارأفرآم السريانى وجميع آبائنا القديسين.

بصلوات أبينا الطوباوي قداسة البابا شنودة الثالث وشريكه في الخدمة الرسولية
نيافة الأنبا ثاؤفيلس أسقف دير السريان ونقدم الشكر الجزيل لكل من له تعب معنا
في نشر هذا الكتاب الرب يعطهم أجراً سمائياً في ملكوته .
ولإنهنا كل مجد وإكرام إلى الأبد آمين .

برية شيهيت

١٥ أبيب ١٧٠٣ ش

٢٢ يوليو ١٩٨٧ م

تذكار نياحة مارأفرآم السرياني

الراهب القمص
سمعان السرياني

سيرة
القدس ما رأف أم السرابني

+ القديس أفرآم السرياني هو ذلك الناسك، العابد، رجل الإيمان والصلاة والدموع، إنه الكاتب الشهير، المعلم الروحاني، وقد لقب بقيثارة الروح، المعلم نبي السريان إنه من مشاهير آباء الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة الرسولية.

+ أفرآم يلقب أيضاً أفريم، وأفرايم وهو كلمة عبرية معناها «الأثمار المضاعفة» (١).

+ تذكره الكنيسة القبطية في مجمع القديس الإلهي: وأبانا أنبا برسوما، وأفرآم، وماروتا السريان (٢) كما تذكره أيضاً في مجمع القديسين بالتسبحة اليومية بما معناها عربياً (٣) اطلبوا .. يا أنبا برسوما وأفريم، ويوحنا، وسمعان ليغفر لنا خطايانا.

+ ولد بمدينة نصيبين قبل حكم قسطنطين الكبير [٣٠٦-٣٣٧م] فهو أصلاً سرياني من بلاد سوريا، كما تفيد بعض المصادر أنه كان قصير القامة.

ولد من أبوين مسيحيين، ونشأ نشأة صالحة لذا يقول: علمت عن المسيح مبكراً بواسطة والدتي اللذان ولداني حسب الجسد ودرباني في مخافة الرب (٤)!

روحانيته:

كان متواضعاً رغم نبوغه وعبقريته، منكرًا لذاته، يهرب من المجد الباطل. وقد حاول القديس باسيليوس الكبير أن يرسمه قسماً لكنه اعتذر في اتضاع ومسكنة متعللاً بكثرة خطاياها!

+ كان محباً للمسكنة الروحية، ورجل الدموع كما يقول عنه القديس اغريغوريوس أسقف نيصص «كما أن التنفس ضروري للإنسان بل وظاهرة طبيعية في كل البشر، كذلك كانت الدموع بالنسبة لمارأفرآم، فلم يحدث أن شوهدت عيناه في لحظة ما غير

(١) قاموس الكتاب المقدس ج ١ ص ٩٠.

(٢) خولاجي الثلاثة قداسات للقمص عبد المسيح السعدي ١٩٠٢م ص ٣٦٠.

(٣) الأ بصلمودية السنوية.

(٤) التربية في الصغر تشبه بذرة إن تعهدا الزارع تصبح شجرة ضخمة تأتي بشمار كثيرة.

ممتلئة دموعاً على خطاياها ، كما نقرأ ذلك في الكثير من ميامره (°) « !

+ كان وديعاً عاش عيشة التجرد والزهد في القنية ، حتى أنه لم يكن له ما يعطيه ، لكن كان يتم فضيلة الرحمة بمواعظه التي طالما فتحت خزائن الأغنياء ! .

+ كان دائم الصلوات والأصوام بل وكان في سهر روجي ويقظة مستمرة ولذا أكمل السيرة اللائكية بجهاده المتواصل طيلة حياته .

+ تتلمذ في سن مبكر للقديس مار يعقوب أسقف نصيبين ، فأحبه وأبقاه معه وجعله معلماً لمدينة نصيبين معه .

وقيل إنه عندما توجه القديس مار يعقوب إلى مدينة نيقية لحضور المجمع المسكوني الأول سنة ٣١٥ صحبه معه . هذا وقد عاصر الأساقفة الثلاثة الذين خلفوا مار يعقوب ، وسرعان ما حاز شهرة واسعة لغزارة علمه الروحاني ، وغيرته على العقيدة الأرثوذكسية ، وورعه النسكي .

إحتماله وصبره الكثير:

تعرض القديس مارأفرآم لتجارب كثيرة ، فكان مثال الاحتمال والصبر ، والوداعة . ونورد هنا أهم التجارب التي جاز بها في بلدة نصيبين بإيجاز:

حسده الشيطان على نموه الروحي ، ومجة الجميع له . فقد كان خادم الكنيسة الذي يدعى أفرآم أيضاً قد أفسد عذراوية بنت أحد رؤساء المدينة ، ولقنها أن تقول متى كشف أمرها أن القديس مارأفرآم هو الذي أخطأ معها .

فلما كشف أمرها أسرع والدها إلى مار يعقوب الأسقف فأحضر القديس ووبخه أما هو فلم يدافع عن نفسه ، بل قال في تذلل يا أباي يغفر لي !

ولما وضعت الصبية ثمرة خطيتها ، حمله والدها للأسقف ، فأحضر الأسقف القديس مارأفرآم وقال في تذلل وانسحاق « أخطأت يا أباي أسأل أن تغفر لي » ، وأيضاً كان يبكي ويقول للشعب اطلبوا عني يا أخوتي لكي يغفر لي الرب ! فدهش الشعب

(٥) عن ميمر الميلاد المجيد سنة ١٩٦١ للقديس مارأفرآم - طبعة دير السريان .

لهذا كثيراً (٦).

وبعد أيام رأى أن الشعب كله قد أعثر بسببه ، فبعد القداس الإلهي طلب القديس إلى الأسقف أن يسمح لذ بالصعود إلى الأمفون (٧) Amvon بالكنيسة ، فصرح له ، وللحال رفع الأنبا أفرآم الطفل بيمينه إلى المذبح ، وصرخ بصوت عال وقال للطفل «أناشدك أمام مذبح الله الحى ، قل الحق من هو أبوك ؟ .

فللحال فتح الطفل (٨) فاه وقال : أفرآم خادم الكنيسة !!

فتعجب الأسقف والشعب ، وكانوا يبكون ويطلبون أن يغفر لهم ، ثم مات الطفل لوقته في تلك الساعة !

حياته في مدينة الرها :

لقد حاصر الفرس نصيبين ثلاث مرات في الفترة من ٢٣٨ - ٣٥٠م وأخيراً سلمت لهم نهائياً بموجب معاهدة صلح عقدت بين سابور ملك الفرس ، والامبراطور البيزنطى جوقيان عقب هزيمة الامبراطور السابق لجوقيان ، فلما آلت نصيبين إلى الفرس هجرها سكانها المسيحيين ، وهكذا مارأفرآم استقر أخيراً في الرها التى غدت في ذلك الوقت مدينة التعليم الأولى في سوريا وكان ذلك حوالى عام ٣٦٣م .

وفى طريقه من نصيبين إلى الرها طلب إلى الله أن يرشده ويدبر حياته المقبلة ، وعند اقترابه من المدينة صلى إلى الله أن يرسل له من ينتفع منه بكلمة ، فكان أول من قابله هو امرأة شريرة ، ولما لاحظ أنها تحدى إليه بشدة ، قال لها أيتها المرأة أما تستحين أن تتفرسى فى هكذا ؟ فأجابت قائلة إن المرأة أخذت من الرجل فيحق لها أن تتفرس فى أصلها الذى أخذت منه ، أما الرجل فقد أخذ من التراب فينبغى له أن يتفرس فى أصله الذى أخذ منه ، فشكر القديس مارأفرآم الله ، لأنه تعلم شيئاً نافعاً له ، حتى من

(٦) عن مجلة الكرازة سنة ١٩٦٦م عدد ١ .

(٧) كلمة يونانية وهو عبارة عن مكان مرتفع بالكنيسة يصعد إليه بعدة درجات ويستخدم كمنبر للوعظ .

(٨) كان الطفل رضيعاً لا يتكلم ، لكن نطق ليظهر الله براءة قديسه .

هذه المرأة الشريرة (١).

+ التحق مارأفرآم بعمل متواضع في تلك المدينة فاشتغل حارس لحمام من الحمامات العامة التي كانت منتشرة آنذاك، كما قيل إنه اشتغل عاملاً أجيّراً عند أحد الناس إذ لم يكن يعرف صناعة خاصة في تلك الفترة، وكان باقى وقته يقضيه في تبشير الوثنيين وتعليمهم الكتب المقدسة، إذ كان عددهم كبيراً في تلك المدينة.

+ في مدينة الرها تعرض القديس لتجربة أخرى (١').

كانت تسكن في مسكن مقابله امرأة حرك الشيطان قلبها بفكر شرير نحوه، فقابلته ذات مرة وسألته إن كان محتاجاً لشيء فأجابها إني أحتاج بعض من الطوب وقليل من الطين لأسد الطاقة التي بينى وبينك، وغضبت المرأة من تلك الإجابة الجافة، وتوعدته بالتشهير إن لم يطاوعها ويفعل معها الشر، فتظاهر القديس بالموافقة على شرط أن تتم فعلتها هذه في سوق المدينة، فندهشت المرأة وقالت له كيف فعل هذا الأمر والناس حولنا. فأجابها: «إن كنت تستحين من الناس أفما تستحين من الله الذى عيناه تخترقان أستار الظلام»؟!

لقد كان كلام القديس مارأفرآم قوياً مؤثراً حتى أنه نفذ إلى أعماقها، وكانت النتيجة أن تلك المرأة، تابت واعتزلت العالم وترهبت في دير للرهبانيات.

مارأفرآم المتوحد:

لم يستمر القديس مارأفرآم في عمله هذا طويلاً، بل التصق بأحد المتوحدين بإحدى مغاير جبل الرها وهو جبل في شمال شرقى سورية، يعرف الآن باسم نمود داغ، وهناك عاش في ذلك الجبل الذى كان يسكنه نساك كثيرون، وعكف في وحدته على ملازمة الصوم والصلاة، ودراسة الكتب المقدسة.

(١) اتضاع القديس هو الذى جعله يستفيد من كل ما يقابله .

(١٠) لقد كان حاملاً الصليب دائماً ليتبع المسيح كما يقول إنجيل القديس ١٥ أييب (تذكاره) «من لا يحمل صليبه ويأتى ورائى فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً» (لوقا : ١٤٤ : ٢٧).

دعوته للخدمة وإنكار ذاته :

في القرن الرابع كانت شمس المسيحية ماتزال ترسل أشعتها لتبدد ظلمة الوثنية فقد كان هناك صراع بين المسيحية والوثنية، وفي ذلك القرن أيضاً انتشر الإيمان القويم، وانتصرت المسيحية وثبت إيمانها بمجامع مسكونية.

ولقد كانت الدعوة الإلهية لمارأفرام أن يترك خلوته إلى حين، ليساهم في تلك المعركة سواء مع الوثنيين أو مع الهراطقة. لقد كان مبدأ هذه الدعوة رؤيا رآها ذاك المتوحد إذ كان ذلك المتوحد واقفاً في نصف الليل خارج مغارته بالجبل بعد أن فرغ من الصلاة والتسبحة؛ فرأى ملاكاً يهبط من السماء؛ ويحمل بين يديه درجاً كبيراً مكتوباً على وجهيه؛ ويحيط به بعض ملائكة وسمعه يقول لمن حوله: لمن أعطى هذا الذي بيدي؟ فأجابوا: إلى أوكين المتوحد بصحراء مصر؛ ثم عاد وسأل أيضاً فأجابوا: يوليانوس المتوحد. فقال الملاك ليس أحد يستحقه سوى أفرام السرياني الذي بجبل الرها!

لما سمع ذلك الراهب المتوحد تلك الرؤيا لم يصدقها.. لكنه عاد وزار مارأفرام في مغارته مفتقداً إياه، فوجده جالساً يكتب تفسيراً لسفر التكوين، فلما قرأ تعجب لعظم الموهبة والحكمة التي أعطيت له من الله، وأعقبه بتفسير سفر الخروج فتيقن صحة الرؤيا، فأخذ منه المتوحد ذلك التفسير وأسرع يعرضه على علماء مدرسة الرها فتعجبوا وظنوا أن ذلك المتوحد سطره، فأمسكوه يريدون تكريمه، فعرفهم أنه ليس صاحب التفسير بل مارأفرام ثم أخبرهم بالرؤيا. وقد حرك الله بعض المؤمنين بالمدينة ليحضره من صومعته، لكنه أحس بهم فهرب واختفى في أحد الأديرة.

ظهر له ملاك الرب وقال له يا أفرام إلى أين تهرب؟. فأجاب يا سيدي إنني أحب الجلوس في الهدوء والهرب من سجن العالم! فقال له الملاك أنظر أن لا يتم عليك قول القوم أن أفرام قد هرب مني. فبكى مارأفرام وقال: أنا ضعيف يا سيدي ولا أستحق هذا... لكنه أخيراً أبطل اعتذاراته بكلمات المخلص «ليس أحد يوقد سراجاً ويضعه تحت المكيال لكن على المنارة فيضيء لجميع الذين في البيت» (مت ٥ : ١٤).

بعد هذا أخذ القديس يصلى إلى الله كثيراً طالباً منه العون والقوة لكي يناضل من أجل الإيمان المستقيم .

+ قام مارأفرآم ودخل مدينة الرها وفي الصباح خرج إلى شوارع المدينة، فنظره بعض المؤمنين الذين صعّدوا إليه ليحضرّوه من مغارته ولم يجدوه فاغتاضوا منه، وأخذوا يتصاحكون عليه ويقولون تعالوا وانظروا هذا المرائى لقد هرب منا، وهوذا قد جاء من تلقاء نفسه فإنه يجب المجد الباطل... أما مارأفرآم فكان باتضاع عظيم يسجد لهم ويقول: اغفروا لى يا أخوتى أنا المسكين . أما هم فكانوا يزدادون صياحاً قائلين هلموا انظروا هذا المجنون الغبى .. ورغم هذا كله كان القديس يعبر المدينة ويعلم ويعظ وفي أحد الأيام شهد له راهب قديس كان نازلاً إلى المدينة يبيع عمل يديه، فمضى خلفه وقال بالروح مشيراً إلى القديس مارأفرآم: هذا هو الرفش الذى فى يد الرب وبه سينقى بيده . وكل زوان الهراطقة، وما أن سمع بعض رؤساء المدينة والهراطقة والوثنيين واليهود هذا الكلام حتى ألقوا أيديهم عليه وأوسعوه ضرباً وإهانة .

بعدها عاد إلى وحدته وهناك فى مغارته كرس نفسه للكتابة لدحض الهراطقة والمعتقدات الخاطئة فتجمع حوله تلاميذ كثيرون، وهكذا تكونت مدرسة فى الجبل وكان هو معلمها .

ونستطيع أن نقول فى إيجاز أنه كان يحيا حياة التوبة (١١) فى تيكيت دائم لنفسه ودموع كثيرة قائلاً فمن يعطى لرأسى مياهاً كثيرة ولعيني عيناً نابعة دائماً دموعاً ما دام لى وقت تنفع فيه العبرات فأبكى على نفسى النهار والليل .

مارأفرآم يعيد الحياة إلى شاب :

لقد صنع القديس مارأفرآم الكثير من المعجزات نورد هنا واحدة منها : بينما كان القديس فى طريق عودته إلى الرها مر بإحدى بلادها، وهناك التقى بأحد رؤساء المدينة وكان هرطوقياً مع جمع كبير من الشباب التابع له، فبينما جلس القديس على قارعة الطريق ليأكل خبزه سخر منه هؤلاء الشباب، وتقدم أحدهم ولطمه بشدة على وجهه، فتلقى القديس ذلك الأذى فى صمت، ولكن سرعان ما خرجت أفعى من تحت حجر

(١١) عن كتاب التوبة لقيثارة الروح مارأفرآم السريانى ص ٣٨ .

كان يجلس عليه ذلك الشاب ولدغته فمات لوقته ، فأسرع ذلك الرئيس ومعه الشباب أتباعه وراء القديس مارأفرآم وأدركوه في قرية مجاورة لهم ؛ وإزاء توسلهم الكثير عاد معهم ، وبصلواته وطلباته لذلك الشاب عادت إليه الحياة .

كانت نتيجة تلك المعجزة أن رجع ذلك الجمع كله إلى الإيمان الأرثوذكسي فمجد القديس الله على ذلك .

محبه للآخرين :

بعد أن هدأت ريح الهراطقة في الرها ، عاد مارأفرآم إلى خلوته في جبل الرها ولم يترك خلوته هذه إلى أن اجتاحت مدينة الرها مجاعة شديدة في شتاء عام ٣٧٢م فوجد مارأفرآم نفسه مدفوعاً بدافع الحب لأخوته ، بل وأخوة الرب الذين في الرها . ترك خلوته ليخفف عنهم وطأة المجاعة ، وأخذ يبحث الأغنياء أن يصنعوا رحمة ، وظل يوبخهم على قساوة قلوبهم ... فلما احتجوا بأنه لا يوجد من هو كفء وأمين للقيام بمهمة رعاية هؤلاء المحتاجين قدم نفسه للقيام بتلك المهمة ، فوافق الأغنياء وجعلوه متصرفاً في هذا الأمر ، فاستحضر القديس مارأفرآم ثلثمائة سرير خدم بها مرضى تلك المجاعة في الرها والبلاد المجاورة لها .

وكان يخدم المرضى بنفسه ، يساعده في ذلك مجموعة من تلاميذه وبعد أن انقضى ومن هذه المجاعة عاد إلى خلوته في الجبل ، تنيح بعدها بشهر .

مارأفرآم الملفان السرياني :

ويعتبر مارأفرآم من صفوة الشعراء (١٢) المطبوعين أصحاب الإبداع المفتين في الشعر، والكاتب المجيد، وقد أوتى لساناً فصيحاً وبيانياً ساحراً...

وفوق ذلك يعتبر من علية الورعين القديسين، وقد تمكن حب الله في قلبه حتى بلغ منه كل مبلغ فنعت بنبي السريان وشمسهم وكنارة الروح الإلهي وصاحب الحكم ... وكان زاهداً متنسكاً ذا وقار وحلم وسكينة وأصالة وسجية جميلة .. ممتازاً في فضائل

(١٢) عن كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية لماراغناطيوس الأول بطريرك أنطاكية ص ٢٤٣ - ٢٥٣ .

العفاف والتواضع والرحمة.. مغالياً في حب الكنيسة والإيمان القويم، ناراً ملتهبة تحرق زوان الهراطقة المضللين، أستاذاً حاذقاً وجندياً أميناً على حراسة معقل الأرثوذكسية. وفي ٩ حزيران ٣٧٣م تمنح بسلام وقد ناهز السبعين وقد بنى فوق قبره دير بجوار الرها عرف بالدير السفلى.

ومن أبرز مصنفاته ميامره وقصائده المنظومة وأناشيده وهى عبارة عن ٧٧ نشيداً نظمها ما بين سنة ٣٥٠ وسنة ٣٧٠م.

مارأفرآم بإسقيط مصر:

لقد تراءت له شهرة القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة الكبادوكية في عزلته الأخيرة التى كان بها، فرأى أن عموداً من نار يصل إلى السماء، وسمع صوتاً يعلن له من السماء قائلاً: كما ترى عمود النار هذا هكذا باسيليوس العظيم.

وهكذا تشجع مارأفرآم وشده رحاله لنوال بركة القديس باسيليوس لكنه توجه أولاً إلى إسقيط مصر (برية شيهيت) الشهيرة بنسائها ومعلميها الخاذقين في الخبرات الروحية إذ كانت وقتئذ زاخرة بالآلاف الرهبان، حيث قضى ثمانى سنوات (١٣).

وهنا نستطيع أن نتذكر أهم مشاهير آباء برية شيهيت (ميزان القلوب) في الفترة التى قضاها القديس، والذين ما زالت سيرة حياتهم مناراً عالياً للرهبة والعالم بأجمعه:

القديس أثناسيوس الرسولى، القديس مقاريوس الكبير أب البرية، القديس مقاريوس الاسكندراني، القديس بيشوى كوكب البرية، القديس يوحنا القصير، القديس بفتوتيس الإسقيطى، القديس إيسيدورس القس، القديس موسى الأسود، القديس اسحق قس شيهيت، القديس اشعيا الاسقيطى.

شجرة القديس مارأفرآم:

ما زال أثره باقياً حتى الآن ببرية شيهيت إذ توجد بدير السيدة العذراء (الشهير بدير السريان) شجرة ضخمة تعرف باسم شجرة القديس مارأفرآم السريانى ولهذا

الشجرة قصة عجيبة (١٤).

فقيل إنه كان القديس يتوكأ على عكاز (عصا) من فرط النسك الذى أنهكه فظنه رهبان الإسقيط أنه يتظاهر متشبهاً بالشيخ، فعرف بالروح ما كان يجول بخاطرهم وغرس عكازه هذا فى الأرض، فأراد الله إظهار بره وتقواه فنما هذا العكاز الجاف (١٥) وأزهر كعصا هرون قديماً، حتى أصبح شجرة ضخمة الآن، وهى من فصيلة التمر هندى ويشرب الكثير من زهرها وثمرها لنوال بركة قديسها البار.

التقاؤه بالقديس باسيليوس :

بعد اكتساب القديس خبرات الرهينة الكثيرة عن آباء اسقيط مصر بدأ يكمل رحلته إلى قيصرية الكبادوكية، وكان تواقاً أن يكون التقاؤه بالقديس باسيليوس فى عيد الظهور الإلهى (عيد الغطاس المجيد) وفعلاً وصل فى اليوم السابق للعيد، وكان ذلك نحو أوائل عام ٣٧١م، فدخل القديس مارأفرآم الكنيسة وكان القديس باسيليوس يرتدى ملابس رئيس الأساقفة الفاخرة، وحوله الكهنة بملابسهم الفاخرة أيضاً، وعندما رأى ذلك قال فى فكره إن هذا لا يمكن أن يكون عمود النار الذى أعلن لى فى الرؤيا! ووقت العظة وقف القديس باسيليوس يعظ الشعب وإذ بمارأفرآم يرى وكأن السنة نارياً تخرج من فيه، وتستقر فى قلوب السامعين، فللوقت سرعان ما تغير فكره، وأظهر علامات الاستحسان لسماعه ولأنه لم يفهم اليونانية التى كان يتكلم بها القديس باسيليوس فقد كان برفقته تلميذ يترجم له ما يقال.

شعر القديس باسيليوس بالروح بوجود القديس مارأفرآم إذ رأى ملاكين على جانبه.. وبعد التناول استدعاه فتقدم القديس بثوبه البسيط البالى صامتاً، مطرقاً بنظره إلى أسفل فنهض رئيس الأساقفة (باسيليوس) عن كرسيه واستقبله بقبلة أخوية، وأحنى رأسه أمام ذلك الراهب المتواضع وقال له هل أتيت لتزور إنساناً خاطئاً؟.. الرب يكافئك عن عملك هذا ثم انفرد به وقال له لماذا شككت؟ وكشف

(١٤) انظر ميمر الميلاد المجيد وسيرة مارأفرآم السريانى عام ١٩٦١. دير السريان.

(١٥) لقد كانت عصا يابسة بينما المعروف علمياً لكى تنمو لابد أن تكون حية ذات براعم كما أنها منذ أكثر من ١٦ قرناً وما زالت بحيويتها وخضراتها.

له عن ملابسه، وإذ به يلبس مسحاً من الداخل.. قائلاً له أما هذه الملابس الفاخرة الخارجية فهي من أجل كرامة الخدمة الكهنوتية فقط.

استغرقت زيارة مارأفرآم للقديس باسيليوس أسبوعين حاول خلالها أن يرسمه قساً لكنه اعتذر في اتضاع ومسكنة متعللاً بكثرة خطاياها، ويقول المؤرخ «سوزومين» في هذا أن مارأفرآم لم ينل رتبة كهنوتية أكثر من رتبة شماس، لكن ما بلغه من الفضيلة أعطاه شهرة مساوية لأولئك الذين قد نالوا أعلى درجات الكهنوت في الكنيسة، كما أن حياته المقدسة، ونبوغه في العلم جعله موضع إعجاب الجميع.

كما يقول أيضاً هذا المؤرخ لقد غدا باسيليوس من كبار المعجبين بأفرآم ونبوغه، فلقد تأثر كثيراً بشخصيته وبكلامه وتعاليمه، كما أورد ذلك في بعض كتاباته التي كتبها عنه.

+++

تعاليم وكتابات القديس مارأفرآم:

عاد القديس إلى مدينة الرها بعد تلك الفترة فوجد المدينة مغمورة بأصحاب هرطقات كثيرة.

كان أشهرها هرطقات «برديسان (١٦) السرياني» التي ظهرت عام ٢٠٠ م. والتي ضمت طبقة كبيرة من أصحاب الثقافة والثراء. فبدأ مارأفرآم يكتب ضد هذه الكتابات أعطته شهرة واسعة في عالم الأدب والشعر، كما نظم أناشيد كثيرة تضمنت عقائد كنيسته الأرثوذكسية.

ودخل في نقاش مع أصحاب هذه الهرطقات لردهم، والعجيب أن تدفق هذه الينابيع الشافية من ذلك القديس كان سببها التعاليم الفاسدة التي لهؤلاء الهرطقة، فقد وضع هرمونيوس بن برديسان في تلك الهرطقات ١٥٠ نشيداً تنافس مزامير داود النبي، كما أنه وضع لها أنغاماً جذابة جعلت أهل الرها يذهبون وراء وقعها الموسيقى!

(١٦) كان وثنياً ولد بالرها وقيل أنه أصبح مسيحياً ورسم قساً ولكنه استمر في آرائه الفاسدة ولم ينش عنها فحرمته الكنيسة ومات عام ٢٢٢ وخلفه ابنه الذي ناهضه مارأفرآم.

وللحال وضع القديس العظيم مارأفرآم ١٥٠ نشيداً على نسق ووزن وموسيقى أنشاد هرمونيوس ، متضمنة العقائد المسيحية السليمة كما أنه أعد خورساً لتلك الأنشاد يرمونها صباحاً ومساءً كل يوم في الكنيسة!..

وهكذا استطاعت تعاليمه المستقيمة بنعمة الروح القدس وبقوة الحق الذى ينطق منها ، وجمال أسلوبها الأدبى ، أن توقف تيار هرمونيوس وغيرها من هرطقات ذلك العصر التى كادت تكون سبباً فى غرق الكثيرين .

+ ويعتبر القديس مارأفرآم أكثر آباء الكنيسة السريانية صيتاً ، وأشهر كتابها نثراً وشعراً .

+ ولقد نال من الله نعمة خاصة أعلنت له فى رؤيا ذكرها فى أواخر أيام حياته إذ وهو بعد صبى فى منامه ، أبصر وقد خرج من لسانه غصن كرمه كبر شيئاً فشيئاً حتى ملأ كل ما تحت السماء ، وحمل ثماراً كثيرة ، وجاءت الطيور وأكلت من ثماره ، وكانت الثمار تزداد أكثر فأكثر كلما أكلت منها الطيور . فهذه العناقيد هى الميامر والأوراق هى الأناشيد.. قد أعطاها له الله من كنوزه التى لا تفرغ.. فلنمجده على نعمته وموهبة مسرته .

+ ويعد ما تركه من كتاباته الكثيرة ما لا يقل عن ثلاثة ملايين سطراً وأهم ما تحتوى عليه كتاباته :

— كتابات عن شرح الأسفار المقدسة ، ومقالات ورسائل عديدة .

— كتابات فى الأدب والشعر وتتضمن تعاليم كثيرة منها :

المدراش (١٧) وهى النظم الذى ينشد ، الميامر أى القراءات العديدة فى مجالات مختلفة وهى تقرأ ولا تنشد .

+ وها هو اليسير عن ميمر (١٨) من ميامره الكثيرة يكتب فيه متأملاً ميلاد السيد (١٧) مدراش جمعها مداريش وهى الأناشيد الأفرامية وكان عددها [٥٠٠] اللؤلؤ المنشور لمار أغناطيوس الأول ص ١١٥ .

(١٨) عن ميمر الميلاد المجيد للقديس مارأفرآم - لدير السيدة العذراء (السريان) ١٩٦١م .

المسيح له المجد من السيدة العذراء والأم البتول فيقول :

أنت ولدت من البشرية جسدياً ، وهي ولدت منك روحياً . كل ما أتيت إلى
الميلاد من أجله كان أن يولد الإنسان على شبهك ، فصار ميلادك سبباً لميلاد الكل ! .
عندما تحطم أمل الإنسان ، ازداد الأمل بمولدك ... إن ميلادك صار لقاطعي الرجاء
ينبوعاً يفيض بالرجاء .

يا لها من أعجوبة عظيمة إن الابن سكن كلية في جسد ، حل فيه وكان كافياً له
سكن فيه ولكنه لم يجد ، كانت إرادته فيه كلية وحدوده وأصله إلى الآب ...

+ عجيبة هي أمك .!؟ (١٩)

لا يستطيع أحد أن يعرف أمك أيها الرب !

هل يسميها عذراء ، وهوذا ابنها موجود ! هل يسميها متزوجة ؟ وهي لم يعرفها
رجل فإن كان لا يوجد من يفهم أمك ، من يكون كفوءاً لفهمك أنت ؟! .

عجيبة هي أمك ؟!

الرب دخلها فأصبح عبداً ! الكلمة دخلها فصار صامتاً داخلها !

الرعد دخلها فهدأ صوته ! راعي الكل دخلها فصار فيها حملاً !

إن بطن أمك قد غيرت أوضاع الأمور يا منظم الكل !

العالي دخلها فخرج وديعاً .. الغنى دخلها فخرج فقيراً !

الضياء دخلها فأخفى نفسه ! معطى الطعام دخلها فصار جائعاً !

مروى الجميع دخلها فخرج ظمآنًا ، ساتر الكل خرج منها مكشوفاً وعرياناً !

+ بينما كان على الصليب كان يجيئ الموتى ، وبينما كان طفلاً كان يكوّن
الأطفال .. المجوس أحضروا له مرأً وذهباً ولباناً ، بينما كان مخفى فيه كل كنوز

(١٩) عن ميمر الميلاد للقديس مارأفرام - ترجمة القس تادرس يعقوب .

الغنى . كإله أعطى مريم لبناً ثم عاد ورضعه منها كابن للبشر .

كانت تغزل له وتلبسه لأنه خلع عنه ثوب مجده ...

وهكذا تكلم كثيراً عن ميلاد المخلص وقيامته في ميامر عديدة، وله الكثير أيضاً من تلك الدرر الثمينة في موضوعات روحية مختلفة .

+ كتب عن نصيبين قصائد بلغ عددها ٧٧ وأطلق عليها «نصيبيات» وقد تناولت موضوعات مختلفة عن نصيبين .

+ المجموعة الثانية ذات مركز ممتاز .. وكانت في الرها واعتبرت من النتاج الشعري الرائع له ، وسميت باسم «سوغيثا» وفيها كتب الكثير عن آلام السيد المسيح وقيامته (٢٠)

+ هناك أيضاً قصصه الشعرية الكثيرة التي تضمنت شرحاً للحياة، والتعاليم الكنسية، وكان قوياً في شعره فقد أخضع لفنه جميع الأوزان السريانية، هذا وقد حذا حذو داود النبي في مزاميره .. ويقولون إنه كان يتولى بنفسه تعليم المرتلين طريقة ترديد شعره ترديداً صحيحاً .

ومما يذكر عن كتابات بلغته السريانية شرح لسفر التكوين وجزء كبير من شرح سفر الخروج محفوظ في مكتبة الفاتيكان ومختصر لشرح العهد القديم صنفه ساويرس الراهب الرهاوى عام ٨٦١م، وقد بقى منها مخطوطان أحدهما بمكتبة الفاتيكان، والأخرى بالمتحف البريطاني .

وله كتابات كثيرة عن محاربته لتعاليم ماني، ومرقيون، وبرديسان بعنوان الرد على المارقين إلى «هيباتيوس» وأخرى مثلها إلى «دمنوس» وأخرى إلى «يوليانوس» امبراطور الروم الذي ارتد إلى الوثنية .

وله كتابات أخرى في النصف الأخير من عام ٣٦٣م، الكتب الخمسة الأولى منها تبتدىء كل منها بحرف من حروف اسمه، أ.ف.ر.ى.م. كما يذكر فيلوكسينوس (٢٠) عن كتاب تاريخ الأدب السرياني للدكتور مراد كامل ص ٧٠ - ٣٧ وكلمة «للسوغيثا» تعنى قصائد منظومة على البحر السباعي .

المنجى أحد كتاب أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس أن له ميمراً نثرياً عن سيدنا يتكلم فيه عن مجد ألوهيته وأعمال الخلاص ... أيضاً له رسالة إلى رهبان جبل الرها ... هذا وقد ترجم الكثير من كتبه إلى اليونانية والأرمنية، والقبطية، والعربية، والحبشية ...

اللغة السريانية :

إنها إحدى اللهجات الآرامية، وقد أطلق عليها اسم اللغة الكلدانية، ولقد كتب بعض أجزاء الكتاب المقدس بالآرامية مثل أجزاء من سفر عزرا، ودانيال مما يدل على انتشار الآرامية في عصر الفرس، وقد جاء في سفر (الملوك الثاني ١٨ : ٢٦) ؛ (إشعيا ٣٦ : ١١) أنه في سنة ٧٠١ ق.م لما حارب سنحاريب بيت المقدس في عهد حزقيا كان الشعب يتكلم الآرامية .

ومن اللهجات الآرامية (٢١) . لهجة الرها وموطنها ما بين النهرين بإقليم الرها («إدسا»- edessa، هذا وقد دون السريان كتبهم بأنواع عدة من الخطوط .. كان أقدمها مدوناً بالخط الاسطرنجيلي ويفسره البعض بخط الانجيل أو الخط المستدير .

جاء بعده الخط اليعقوبي نسبة إلى «اليعاقبة» والخط النسطوري نسبة إلى «نسطور» والخط الملكي نسبة إلى «الملكيين» والخط الأخير مستخرج من الثلاثة خطوط السابقة .

وقد أجاد السريان اللغة اليونانية، ولذا قاموا بنقل التراث اليوناني إلى العرب، فحينما ابتدأ العرب يهتمون بالعلوم والفلسفة اليونانية كانت الترجمات السريانية لها الأهمية في هذا، وكان من المترجمين المشهورين حنين ابن اسحق، يحيى بن البطريق، وابن زرع، وهناك مجموعة نفيسة من المخطوطات السريانية كانت لدينا وقد أهداها «السمعاني» على عدة دفعات إلى مكتبة الفاتيكان وغيرها ...

ويعتبر القديس مارأفرآم أحد الكتاب السريان في القرن الثالث والرابع الذين أهمهم أسونا الذي عاش راهباً بالرها، وفاقا بن عجي الذي كان أسقفاً على سلوقيا

(٢١) أنظر المرجع السابق ص ٣ - ١٣ ، ص ٦٧ - ٨٣ .

والمدائن والسوس ، وشاهد وست الجاثليق ، وافراهاط وقد اتخذ له اسم يعقوب عندما رسم اسقفاً .

مدرسة مارأفريم :

نشأت في الرها مدرسة مارأفريم (مارأفرآم) التي امتدت بعده إلى أوائل القرن الخامس ، وأهم تلاميذه :

سمعان : وهو الذى تنسب إليه سيرة القديس مارأفرآم ، ابراهام ، مارالاجيلي ، أبا زنبويوس الجزيرتي الذى كان شماساً في كنيسة الرها وله رسائل في الرد على مرقيون ، وبامفيلوس وله رسائل إلى كل من ايزودور ، ولوكيلوس ، وابراهام وأيوب ، يعقوب وله بعض شروح لكلام معلمه مارأفرآم ، اسحاق ، وآسونا وشمعون السميساطى ويوليان ، أرا من الكتاب الذين ينتمون إلى جماعة مارأفريم في نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الذى عارض السحرة ، وقد ذكر القديس هذه الجماعة بالمدح والثناء أما أروط وياولونا وقد رجع عليهما باللائمة إذ انحرفا وسقطا في هرطقه .

نياحته :

هناك في الكهف الذى أحبه القديس مارأفرآم بجبل الرها قد تنيح ، وانضم إلى آبائه ، وكان ذلك في التاسع من شهر يونيو عام ٣٧٣م ، وقد ترك وصية نظمها بالشعر وهى مؤثرة للغاية :

« لا تضعونى تحت مذبح الله لأنه لا يليق أن توضع الجيفة النتنة في المكان المقدس ، ولا تضعوا جسدى مع القديسين لأنى خاطيء ، ولا أستحق ، وعوض أن تضعوا على العطور اذكرونى في الصلوات . عهداً قطعت مع الرب أن أدفن مع الغرباء لأنى غريب مثلهم ، ضعونى يا أخوتى معهم ، ضعونى في مقبرة منكسرى القلوب ، حتى حينما يأتى ابن الله يضمنى إليه ويقيمنى معه »

فأخرجوا جسده من مغارته وسار وراء جثمانه كل شعب الرها ، والبلاد المجاورة ، والأساقفة والكهنة والشمامسة ، والرهبان ، والآباء المتوحدون ، ووضعوا الجسد الطاهر حسب الوصية في مقبرة الغرباء بعد ذلك بقليل نقل الجسد أهل الرها وبنوا له مقبرة

بين مدافن الأساقفة، ثم أقيم فوقه دير عرف باسم الدير السفلى «بجوار الرها» ومازال قبره معروفاً هناك.

وتعيد له كنيستنا في الخامس عشر من شهر أبيب (٢٢)، من كل عام، وهو أيضاً تذكارة نياحة الشهيد قرياقوس الذي استشهد وكان له من العمر ثلاث سنين مع أمه يوليطة، ويوجد جزء من رفاتهم مع أجزاء من رفات بعض القديسين الآخرين (٢٣). في مقصورة خاصة مع القديس الأنبا يحنس كما بدير السيدة العذراء (السرمان).

وتوجد للقديس أفرآم بكنيسة السيدة العذراء (السرمان) أعلى مقصورة أجساد القديسين صورة أثرية يرجع تاريخها إلى عام ١٧٧٣م بها القديس ممسكاً بفرع شجرة مشمر مكتوب بجوارها عكازه الذى أورك وبيمينه شورية ويلبس ملابس شماس!

أسأل الرب عنا أيها القديس العظيم مارأفرآم لكى ينعم لنا الرب بغفران خطايانا آمين.

مديح القديس اغريغوريوس أسقف نيصص للقديس مارأفرآم السريانى

إن الذى يحركنى على هذا الذى أنا أتكلم عنه (١)، المثل الذى قيل بالإنجيل المقدس «لا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضىء لجميع الذين فى البيت، فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويوجدوا أباكم الذى فى السموات» (متى ٥ : ١٥ - ١٦).

لينحل لسانى بعدما كان للجم الصمت خادماً، فلا نترك الحديث عن سيرة أينا الطوباوى القديس مارأفرآم، وندفعها فى قاع الصمت بل لنشهرها فى درة البيعة حتى تظهر للذين فى مسكن العالم، فإذا عرفت لهم مجدوا الآب الذى فى السموات...

(٢٢) سنكسار الكنيسة القبطية - ١٥ أبيب .

(٢٣) سيرة القديس أنبا يحنس كما - دير السرمان ص ٥٠ - ٥١ .

(١) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السيدة العذراء (السرمان) بتصرف .

وواجبنا أن نجعل نحن السبيل إلى تبعه وتقريظ فضائله من ههنا ، لا سيما وإن كانت واحدة من فضائله حجة واضحة إلى الثناء عليه ولما كان هو لا يسر بالمديح كان ذلك له زيادة في فضائله ، ومضاعفة لها وكان غرضه أن لا يظن أحد أنه صالح .

لقد فتح لنا في الأول أن نبدأ الكلام الذى ينبغى لنا ألا نبعد عن الغرض ، ولا نهوى فيه ، بل نسلك طريقاً ملوكياً ، ونتأمل أن ذلك الرجل العجيب لو لم يعلم أنه أهل للمديح لما كان منع من يريد أن يمدحه ؟ لأن من يعلم أن لا فضل فيه يستحق المديح لن يوصى أحداً بأن لا يمدحه ، بل يهمل أمر نفسه جملة ، وهنا نقول ما ذكره الرسول بولس مزين الكنيسة بتعاليمه « إننى لست أهلاً أن أدعى رسولاً » فزاد ذلك من فضيلته لما ظهر فيها من وداعته وتواضعه ، كذلك هذا الأب الجليل لما حكم على نفسه أنه غير أهل للمديح . فأصبح أهلاً لكل وصف ومديح لأن كنيسة المقدسة تكفل الذين فى الفضيلة بكل أنواعها ، وفضيلة الوداعة أو التواضع هى أفضل بحسب ما قيل « كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع » (٢) .

فمن هنا صار مثل المصباح الذى على منار مرتفع ، ينير للآخرين وينادى بذكر سيرته الطاهرة ، وإذا ما عرف السامع الحكيم هذا عرف فضائله التى منها جمعنا أكليلاً ذهبياً بأنواع من الحجارة الثمينة مرصعاً ، وقدمناه لعروس المسيح التى هى البيعة المقدسة تقدمه مأثورة وهدية مشهورة ، وهو ذلك الإنسان الذى أفواه جميع المسيحيين لا تشبع من ذكره والثناء عليه ، أعنى أفرآم السريانى ، إننى لا أستحى من ذكر اسمه إذا كنت أتجمل بأخلاقه ، وهو أفرآم الذى ضوء سيرته وعلمه قد أنار العالم ، وصار معلوماً عند كل الناس .

لن يجعله إلا من يجهل باسيليوس الكبير الذى هو كوكب الكنيسة المنير ، أفرآم هو نهر فرات معقول البيعة الذى منه تشرب جماعة المؤمنين فيثمر كل واحد منهم من زرع الأمانة أى الإيمان بدل الواحد مائة ، أفرآم كرمة الله الكثيرة الثمر التى تحمل عناقيد شديدة الخلاوة من تعليمه ، والتى بها تسر جماعة الكنيسة بالامتلاء من المحبة الإلهية ! .. أفرآم هو الإنسان الأمين الذى يوزع أقواله فى الفضائل ويسوس منزل سيده بالسياسة الحسنة التى لا عيب فيها .

(٢) (لوقا ١٤ : ١١) .

لم يذكر جنسه ، وشرف ميلاده ، على أنه لو ذكر كان فيه الكفاية ، إلا أن ما زين به نفسه في سيرته ومقالاته كان أجل من ذلك وأفضل ...

كيف يرضى أن يمدحه أحد وقد طرح كل حسب في العالم ، وقد اختار أن يكون لله وحده ، وكيف يتباهى بوطن من كان يتصور أنه غريب في الأرض كلها !.. ويستنكف من كل قنية مادية من كان يرجو الطوبى الأزلية في الدار الباقية .

كانت تربيته منذ إبتداء نشأته في درس الكتب الإلهية . وكان شربه وارتواءه من العين الجارى ، ولم يزل يتزايد منها إلى أن وصل إلى ملء قامة المسيح ...

+ ينبغي لنا ألا نجرى في سبل غريبة فنخطيء طريق الآباء الملوكية ، وهو العمل والعلم اللذان تتبعهما الفضائل العشر وهى الأمانة (الإيمان) والرجاء ، والمحبة وحسن العبادة لله ، ودرس الكتب الإلهية ، وتطهير النفس والجسد ، والدموع الدائمة ، وما يتبع ذلك من سكنى البرارى ، والهرب من المضرات ، ومداومة التعليم ، والصلاة التى لا تفتقر ، والصوم والسهر والزهد فى القنية والخضوع الواصلان إلى أبعد غاية ، والرحمة التى تتجاوز الطبيعة البشرية ، والغيرة الإلهية على من لا يسرون فى حسن العبادة وغير ذلك ..

بهذا المديح يتجمل أبونا هذا ، وبهذا المقال نعرفه ، ونميل إلى ذكره للمنفعة ليس له بل لنا لأن اسمه أصل وطريق للفضيلة فجمعنا نحن ما يشبه النحلة الممدوحة التى تجمع رحيق الأزهار وأصلحنا من ذلك شمعاً روحانياً ، أنه لن يجرع من الشيطان الشرير الذى من شأنه أن يعرقل الجماعة عند أواخر حياتهم وجهادهم ، فقد وصل إلى ميناء الروحانيين ، وأصبح خارجاً عن الاضطراب ..

هلم يا صاح أن نتأمل هذا الرجل العجيب ونشرح حاله وإلى أى مقدار من الصعود الروحانى قد وصل ونبينه للذين اجتمعوا ههنا .

نبتدىء من الأمانة التى وصل منها إلى الطريق المستقيم الذى عن حسن العبادة بحسب ما عرفناه من مصنفاته العديدة ، وما تسلمناه من رأى الكنيسة المقدسة فيه ، لأنه رفض ما جمعه سابليوس ، وما قد هرطق به آريوس .. فوقف هو عند الرأى الأرثوذكسى المستقيم ، فنادى بالثالوث المقدس الواحد فى الجوهر . وأما أبوليناريوس

فقد دفع رأيه البهيمى وأخرجه من المسيحية لأنه أنكر أن للسيد المسيح نفساً إنسانية عاقلة وترك لنا في ذلك أقواله التى علمه إياها الرب .

أما نواطس فإن أثر أحد أن يبصر هزيمته من مصارعة مارأفرآم بأقواله فليعلم أنه كان مثل هبوط الشرير فى الهاوية نتيجة صلب المسيح .

ولم يكتف بإجابة من ظهر فى ذلك الوقت من الهراطقة بل شجب ما كان سينشأ فيما بعد بسيف الإيمان بأقواله المستقيمة ، بما أبصره بعين الإيمان .

+ أما رجاؤه وثقته بالله وحده فكانت دليلاً للمستحقين النعمة الخالصة من الرجاء والثقة بالخيرات التى ستكون لهم فى الموعد .

وكان يهذ دائماً طول حياته من أقوال المزامير « أن قلبى عليه يتكل .. » ، ولما كان رجاؤه وثقته بالله بهذا المقدار أحاطت به نعمة الرب ، تلك النعمة التى تجعل المتكلمين عليها مثل جبال صهيون وترفعهم إلى الطوبى والسعادة الصادقة . فقد حصل ما قيل لداود النبى « طوبى للرجل الذى اسم الرب رجاؤه .. » وكذا إرميا النبى بقوله « مبارك الرجل الذى يتكل على الرب وكان الرب متكله ، فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمأصولها .. (٣) » ، وكذا إشعياء النبى بقوله « إن ملكنا الرب مخلصنا .. ها الله مخلصى ... » ، وبولس الرسول يقول « سيبلىنا أن نتمسك بالميعاد .. لأن الذى وعدنا صادق » . فلما كان القديس أفرآم متمسكاً بهذا الرجاء تهاون بالعالم واشتاق وسبى إلى المجد الدهرى الباقى إلى الأبد .

+ أما محبته لله والقريب .. قد وصل إلى حفظها مما لا يحتاج إلى برهان آخر . فقال عند انصرافه من هذا العالم : ما جدفت على الرب ، ولا خرجت كلمة جهل من شفتى ، ولا لعنت أحداً ، ولا خاصمت أحداً . فيا له من لسان سعيد يلفظ بهذا الذى لا يليق أن يقوله إلا الملائكة الذين لا اضطراب لهم ، أما نحن المرتبطون بالجسد فهذا القول فوق طبيعتنا . كما نجد فى هذا القديس طهارة خلقه ، وخالص وده لأن المحبة إذا كانت أجل الفضائل فقد كان أفرآم المغبوط قد حفظها وقام بواجبها أكثر من غيره من الآباء .

(٣) (إرميا ١٧ : ٧) .

وقد ذكرنا نموذجاً من أعماله وروحانيته ، وإن كان يعتبر لحكمته معلم المسكونة .
+ وأما درس الكتب الإلهية فقد أشعل نفسه مصباحاً من أقوال داود النبي ،
فاشتعلت في قلب هذا القديس نار من النظر الإلهي ، فألمب قلبه شوقاً حتى درس كل
كتاب عتيق وحديث ، وفتش كتب تكوين الخليقة ، وأظهر ما في قاعها ، وكان الروح
القدس سراجاً في ذلك . وأوصلها إلى غيره .. كما وصل إلى الحكمة الروحانية من
تقويم اللسان والمنطق ، وما كان في قاع المعاني فاحكم ذلك ، فما كان نافعاً ضبطه
وما كان غير نافع طرحه ، قوم تجارته في العمل بميزان العدل ...

+ وأما الطهارة فقد احكم وقوم منها للجسم والنفس ما زاد عن قوة الطبيعة ، فلم
يطلق للنفس أن تنجرف وتتراخي ، بل كان مالكاً نفسه ، والشاهد على هذا خبر تلك
الزانية التي كان ابليس عدو البشر قد طرق لها خديعة تعملها له فدفعها بمواعظه
وصلواته وأقواله ، إلى أن نقلها بما كانت عليه وصارت عفيفة وطاهرة بعد أن كانت
نجسة !.

أما الدموع إذا أردت ذكرها فإن أفرام كان في ذرف الدموع ومداومتها بصورة
الإنسان الذي لا يمكنه أن يعيش بدون التنفس ، فكان لا يخلو وقت ما من نزول
الدموع ومداومتها الليل والنهار وكل لحظة . لم أبصر عينيه قط جافة ، بل كان يبكي
تارة جهراً ، وتارة سراً ، كان يبكي على زلاته ، وربما قطعه بتنهدهاته ، وكانت الزفرات
تستدعي الدموع والدموع تستدعي الزفرات إذ المعروف أن تستبدل الدموع بالزفرات أو
العكس ... وللمتأمل أن يشاهد ذلك من كتاباته . فيجده كان باكياً فيما قاله عن
التوبة . بل وفيما صنفه من المدائح التي من عادة الغير أن لا يذكر فيها إلا السرور لقد
كانت صورته واضحة .. يدعو بها سامعيه إلى الحياة الصادقة .. فهذه قوة نطقه الروحي
الممزوج بالدموع ، فمن يسمع كلامه ولا يلين ويطرح صلابة أخلاقه ومن يكون وحشياً
في خلقه فلينصت لشيء من تعليمه ولا يبكي على الزمان الذي صرفه فيما لا ينبغي ؟ .
ومن يكون عديم الإنسانية فيذوق حلاوة ألفاظه ولا يسارع إلى الخضوع والتأني محبة في
الخير؟ ..

ومن يكون قد ألف الشرور واستعمل اللذات والتباعد عن الدموع ويتأمل قوله فلا

يبكى ويندم على ما سلف منه من تفريط ويتصور المجازاة التي تنتظره؟.. قد رأينا أنه جاء إلى النفوس التي لا ترتيب لها فأقنعها أن ترجع . ومن يبكت من ميامره عن الاتضاع ولا ييغض ويمقت نفسه ، وينادى أنه أقل من كل أحد !

من يقرأ ما قاله عن العفة ولا يحرص أن يكون طاهر النفس والجسد؟! ومن يدنو من قوله عن الدينونة وحضور السيد المسيح ولا يتصور أنه واقف ومطالب بما عليه ويرعد من الدينونة التي ستناله . هكذا صور هذا النبي العظيم الدينونة الآتية حتى أنه لم يترك شيئاً عنها، بل تكلم عنها حتى جعل معرفتها كأنها بالفعل المباشر وما كان يتخيله ويتصوره ذلك القديس لتلك الساعة جعله يهرب من العالم ويبعد عنه ويتدبر البرارى والقفار، ويتأمل ذاته وينتصب لله ، يأخذ هناك المزيد من الفضائل ، لأنه كان قد علم علماً شافياً أن سكنى البرية يعنى ، ويخلص من يريد الفرار من الاضطراب . وأن الصمت والسكوت يجعل الإنسان للملائكة مشاركاً ، ومناجاتهم متشاعلاً ، وإلى النظر في الله بحسب طاقته متزايداً . وكان الروح يدفعه إلى التنقل من موضع إلى آخر لإصلاح الكثيرين وبنائهم ، فما كان يمتنع لأنه كان منقاداً إلى أوامر الله في كل شيء انقياداً تاماً . فلما أمر أن يترك وطنه مثل ابراهيم أجاب ذلك وقصد مدينة الرها لأنه ما كان لمصباح أن يغطى ! وأن يكون في المواضع المقدسة التي هناك ليجتمع برجالها فيجتنون ثمرة علمه ، ولما وصل عند باب مدينتها انتفع من تلك المرأة التي قالت له يحق لى أن أنظر إلى الرجل لأنى أخذت منه ! أما أنت فلتنظر إلى الأرض التي أخذت منها فاعترف أنه قد انتفع كثيراً ومجد قوة الله التي لا تدرك ، ثم سار إلى قيصرية كبادوكية حيث أرسله الروح القدس إلى باسيلوس الكبير الذى هو فم الكنيسة والناطق بالأقوال الذهبية ؟ فلما رآه ابتدأ يثنى عليه ! وأبصر حمامة بهية جالسة عن يمينه ومنها عرف أن ذلك الأب هو أفرام السريانى ، فبدأ بابتغاء روحانية وعلم أن تعبه لم يذهب باطلاً...

+ أما طبيعة عقله الصحيح فكان يبصر بها الفرار مما هو غير صالح ، وتحفظه من الأذناس وأن يخرج به إلى ما هو نقى .. وأن السيد المسيح قد وهب هذا الشيخ وفرة الأقوال التي يتاجر بها ، ويوزعها على قلوب المؤمنين .

لقد قال إنه أبصر وكان كرمة قد نبتت على لسانه وعظمت حتى ملأت الأرض ،

وأكلت منها كل الطيور، وزاد غناها فيما بعد بوفرة عناقيدها .

وشهد إنسان آخر أنه رأى كثرة من الملائكة منحدرين عليه من السماء . ومعهم لوحاً مكتوباً من الناحيتين وكانوا يسألون كل الآخر لمن هذا .. وأخيراً اتفقوا أنه لن يقدر على هذا غير أفرآم .. بعدها سمع أفرآم هناك يعلم بأقوال مزدانة بالنعمة فأبصر تفسير ما رآه ومجد الله وتعجب من تلك الموهبة العظيمة التي للقدّيس ...

وهذا ما وهب من الحكمة وغزارتها حتى صارت مجارى كلامه دائمة وصارت الأذهان دائمة الاطلاع على معانيته ، ولم يكن شيء ما يشغله عن النظر الإلهي ...

+ قد أمت الجسد مع لذاته، وجعله بالنسك والإمسك عبداً لكل أفكاره، وإنهاكه بالصوم . إلا أن قوته كانت تتزايد في النهوض إلى الأشياء النافعة للنفس ، ما كان الليل يعيقه عن عمل الفضيلة لأنه كان يقظاً ساهراً، وكان طعامه مقدار الكفاف لحفظ الحياة، وكان يطرد النوم عن عينيه بأسباب شتى بإذلال جسده .

أما الزهد في القنية فكان كالرسل ، وكان مثالا لكل زاهد في القنية وأنا على ذلك شاهد لصوته الذي قاله عند رحيله إلى السماء : لم يوجد لأفرآم قط كيس ولا عصي ولا مزود ، ولا فضة ولا ذهب ولا غير ذلك من قنية الأرض إذ سمعت من الملك الصالح في إنجيله المقدس « لا تقتنوا لكم شيئاً على الأرض » كما كان أفرآم متهاوناً بالمجد ومحباً لما هو أفضل من هذا وأجل ... والذي يشهد له في التواضع أقواله التي تنادى بأن تلك الفضيلة أكبر فضائله ، واهتمامه بها كان أكثر شيء ..

كان ملازماً ومواصلاً بالبكاء ، يستعمل من الطعام ما ليس فيه لذة ، ويمزج كأسه بالبكاء ، وكان يطرح كل مجد بشرى ، وعند سماعه المديح يبذل ألواناً من الجهد ويطرق إلى الأرض حتى ينضح عرقاً ، وينقطع كلامه من شدة الخجل .

+ وعند انصرافه من هذا العالم إلى الحياة الدهرية الباقية ، قال لا تلحنوا على أفرآم ، ولا تكفنوه بثوب نفيس ، ولا تجعلوا لجسدى قبراً خاصاً ، فقد تعاهدت أن يكون مضجعي مع الغرباء لأنى غريباً كنت في العالم كآبائي .

أما الرحمة والتحنن فلم يكن لها صناعاً فقط بل ومعلماً ، إذ لم يترك له الزهد قنية

يعطيها .. فكلامه كان بمثابة مفتاحاً مصنوعاً من الله يفتح خزائن الأغنياء ويفرقها على المحتاجين إذ كان يحرص الناس على الرحمة .

وربما يظن أن هذا الرجل ما كان له فراغ أن ينظر أقوال الكنيسة لأنه لم يتفرغ من كثرة هذه الفضائل . إلا أنه قد تأدب بالمعنيين معاً ، كان يقومها ويزينها كما كان أيضاً له معرفة بتوبيخ الهراطقة وتبكيتهم وغيرته على العبادة الصالحة في كل وقت ، كما قد أبطل ما كتبه أبوليناريوس وما فيه من هرطقة بقصد حكيم متشبهاً يعقوب في حيلته على أخيه عيسو.. فقد كان مثالاً للغيرة على حسن العبادة .

+ أما الدعة واللين فكان يستعملهما ، أما عند المناضلة فكان يظهر الشدة ويدخل في ذلك الحكمة والمعرفة عند الحاجة إليها ، كما يجرب الصيد سهامه في صيد الوحوش ، وكمدير السفينة تتبين قيادته عند مقاومة الرياح ، كالطبيب الحاذق الذى يعرف بما ينقذه من الآلام التى يصعب شفاؤها ، والناسك المقاتل تعرف شجاعته إذا قاوم قتالاً ضارياً . ولم يكن هناك فضيلة إلا وقد بلغ غايتها وأحكمها ، ويمكننا أن نشبهه بعين تدر مياهاً صافية حسنة ، ينتفع بها كل من يستعملها ، وكبستان كثير الأثمار وحسن الأزهار ، طيب الرائحة ، وكسماء على الأرض مزينة بعدة كواكب ، أو كفردوس عدن الكثير الفرس والأثمار .

كان غرضه مدة حياته اقتناء الفضيلة الكاملة ، وأن يجمع كل فضيلة كانت في غيره !.. أخذ من هابيل فضيلة قربانه المقبول حيث لم يكن له ذبائح ، ولا قدم للرب شحماً بل قدم ضحية ناطقة ، وعبادة ملتبهة بنار الطهارة والنسك !

أما أنوش فتشبهه برجائه ، فلم يدع الرب وحده بل علم آخرين مثله . وأخنوخ الذى انتقل من الهيولى إلى الاختلاط بالروح في الفردوس ، ونوح الذى خلص عطب العالم ، أما إبراهيم فيشبهه في أمور كثيرة ، منها الأمانة (الإيمان) والدعة ، والمحبة لله ، لا سيما هربه من أهله كما هرب ذاك وكانت ذبيحته تقديمه إياه لله ضحية بإماتة أعضائه !

واسحق الذى تشبهه بالموت الطوعى ، إلا أن هذا قدم نفسه وصارت له الحياة مثله وتشبه أيضاً في بركات يعقوب لأولاده إذ بارك أبرام تلاميذه عندما كان عتيداً أن

ينصرف من الجسد، أما يوسف فتشبه به بالعفة والطهارة، كما تشبه بموسى رئيس الأنبياء إذ قد هرب من فرعون العقى وأبصر الله بالإيمان لقد شق بحر المراطقة وعبر بشعبه للأرثوذكسية وخلصهم من التجديف! لقد أخرج ماء من الصخرة أى القلوب المتحجرة، التى لينها فقطرت ماء الدموع، وأطعم الناس خبز الروح أى أقواله التى تدعمت بها النفوس؛ فصارت به تتقدم إلى الخبز الإلهى السرى... وأعطى المؤمنين بدل السلوى ذكر الله الذى به علمنا السلوك إلى السماء؛ وإن أردنا أن نقارن بينه وبين آخرين من الآباء نجد أن: يشوع بن نون قد شق الأردن، وهذا فتح أيدي الأغنياء وبسطها للعطاء، ووزع على الشعب أرض الميعاد بل ملكوت السموات بتعاليمه.

قدم لله مثل صموئيل منذ صباه..

.. ومثل الأيشع بنعمة مضاعفة أهل لنظر الإلهيات.

سكن البرية مثل يوحنا المعمدان، وصار منادياً بالتوبة فعلم القادمين إليه أن يعترفوا بخطاياهم، ومثل بولس معلم البيعة، صبر على الكثير من التجارب وما تراخى قط فى إلقاء بذور التوبة، وبالغ فى زراعة الإيمان..

لقد شابه فى فضائله جماعة القديسين الذين ملأوا المسكونة لقد حدث أن أحداً ما قال يجب ألا أكفن بكفن نفيس، وأن يكن فليدفع إلى المساكين، وحدث عند انصراف هذا الشخص أن تقدم أحد بثوب نفيس لكن قال فى نفسه إنه أولى به من أن يقدمه للمساكين فصرعه للوقت الشيطان، وجنى أمر عصيانه وبقي طريحاً عند القديس مارأفرام.. فالتفت إليه وقال له قل ما صنعتته وخالفت فيه حتى صرت هكذا.. فاعترف للحال بعصيانه وأعادته صحيحاً بوضع يديه وصلاته عليه، ثم قال له تم الآن ما وعدت به، وهذه الآية صنعها القديس فى أواخر حياته، قبل انصرافه إلى ميناء الملكوت حيث لا موت ولا اضطراب وهكذا انضم إلى القديسين...

لقد استقرت نفسه الطاهرة فى المساكن السمائية، حيث مواكب الملائكة وصفوف الأنبياء بجانب كراسى الرسل الأطهار وحيث سرور الشهداء وبهاء المعلمين ومحافل الأبيكار، هناك فى ملك الخيرات الذى تشتاق الملائكة أن تطلع إليه، فى ذلك الموضع القدسى صارت نفس أبيتنا الطوباوى أفرام، وما قد جمعه فى عمره قد تقدمه هناك، وإذ

تتقدم أولى فضائله وهى المحبة، فتقول انظرى أيتها النفس المحبوبة ما أعطيتك من جمال ثم يتقدم التواضع .. إلخ وهكذا بقية الفضائل التى اكسبت نفسه ذلك الجمال العجيب . أطلب عنا يا أبانا القديس أفرآم لأجل مغفرة خطايانا وميراث الملكوت الأبدى بالمسيح يسوع ربنا الذى له المجد الدائم آمين .

مديح للقديس مارأفرآم - كما جاء بكتاب الدفنار

اليوم الخامس عشر من شهر أبيب المبارك

تفسير آدام :

أفتح فإى أنا الخاطيء لكى أقصى كرامة أيننا البار أبنا أفرآم (١) هذا الذى قصد الرب منذ صغره مثل صموئيل فى بيت آباه، وتشبه بدانيال النبى بروح الحكمة، وفهم متيقظ وتشبه بموسى النبى، ذلك الذى تعب مع شعبه .

أنت مغبوط يا أبانا أبنا أفرآم لأنك تحكمت فى جيلك، طوباك أنت يا أبانا أبنا أفرآم صفى الله، طوباك أنت أيها القديس البتول لأنك حزنت فى هذا العالم الباطل لتفرح فى الدهر الآتى، وتعبت فى الجسد المائت فتنيحت بالروح المحيى . طوباك أنت يا أبانا أبنا أفرآم لأنك أكملت سعيك جيداً، أحببت تعب الصوم والعبادات، وفضائل الطهارة، وحرمت ذاتك الطعام الأرضى، واستحققت طعام الملائكة، عطشت على الأرض من هذا الماء المعروف فسقيت من ماء الحياة .

بصلوات القديس العظيم أبنا أفرآم السريانى يارب أنعم لنا بغفران خطايانا .

تفسير واطس :

أنا الحقير غير المستحق أنكلم بعظم كرامتك يا أبانا البار العظيم أبنا أفرآم، لأن نعمة الروح القدس فاضت عليك مثل آباتنا الرسل، ففسرت الكتب المقدسة وإن دعوتك ملاكاً فأنت ملاك حقاً، لأنك حفظت جسدك مثل ملاك، وإن دعوتك نبياً فأنت نبى لأنك فسرت الكتب المقدسة، وإن دعوتك رسولاً فأنت رسول لأن أقوالك

(١) عن المخطوطة ٤٤٥ طقوس - دير السيدة العذراء (السريان) العامر -

بلغت أقطار المسكونة، وإن دعوتك بتولاً فإنك بالحقيقة بتول لأنك أوصيت الناس بحفظ البتولية، وإن سميتك ناسكاً فأنت أفضل من ناسك لأنك جاهدت في سيرة الرهبنة المقدسة، وإن سميتك مذبراً فأنت مدبر بالحقيقة لأنك هديت النفوس إلى أورشليم السمائية وأكملت سعيك بشيخوخة حسنة، وتنيحت مع جميع القديسين في كورة الأحياء.

وفي مثل هذا اليوم أكمل شهيد المسيح قرياقوس ويوليطه أمه جهادهما الطاهر إذ عذبوهما بعذابات أليمة كثيرة جداً، وصنعا آيات وعجائب وقوات لا ينطق بها، ومن بعد هذا قطعوا رأسيهما المقدستين، ونالا إكليل المجد في أورشليم السمائية.

أطلبوا من الرب عنا أيها الأب الطوباوي أبنا أفرآم، والشهيد الطاهر كريكوس وأمه ليغفر لنا الرب خطايانا آمين.

صلاة للقديس

أسجد الآن بين يديك يارب القوة والمجد (١)، معترفاً بخطاياي، فإن رأفاتك جزيلة وها لا مانع ولا باب يصدني عن المثول بين يديك، إذ أنك في كل وقت تنتظر من يقبل إليك لتقوم إليه لأنك هب البشر.

لقد علمت أي خيرات أعددتها يارب الخير لكل الذين أحبوك وأرضوك، وأي شدة وغضب أذخرته للخطاه غير التائبين، غير المحبين لاسمك القدوس وأنا هتار أي نصيب قد صار لي منها؟

أنظر إلى أهالي فلا أجد ما يبرر حصولي على النصيب الصالح مع هؤلاء المجاهدين، ولكن إذ أتطلع إلى ذلك العشار الخاطيء.. الذي وقف مطرق الرأس قارعاً لصدرة، وكيف باتضاعه سكب نفسه بالحزن والانسحاق فخرج مبرراً مغفور الخطايا. فأسرع إليك، واذ أرى نفسي مضطرباً بالآثام أترجح بجملي على الأرض... اللهم اغفر لي أنا الخاطيء غير المستحق ونجني...

(١) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر وكتاب السبع طلب لمشاهير قديسي الكنيسة لدير العذاراء (السرطان).

لتصير يارب من استغاثتى بك استنارة وقداسة للجسم والروح ، واجعل من صراخى
بخوراً عطراً يرتفع أمامك أيها العظيم القدوس ، وكما صار ذكرك عندى حلواً ، بل
أحلى من كل حلوه ، هكذا أعطني كل حين من لذة عشتك ، ومن حلاوة طهرك فإن
نفسى مشتاقه إليك كاشتيق الأرض المجدبة لقطرات المطر ، فاسقنى من عطفك
لأرتوى وأقدم ثماراً مقبولة قبل الموت .

لست أتكلم على ذاتى لكنى أتكلم عليك لأنه .. إذا كان الصديق بالجهد يخلص
فالحاطيء مثل أين يظهر؟! لكن رحمتك ورفأفكك تنتشلنى من ظلمة الجحيم ... انقلنى
يا سيدى الآن إلى نصيب الأبرار قبل أن يستحيل على ذلك حينما أصير إلى الهاوية ،
فتفصلنى عن رحمتك الهوة السحيقة التى لا حد لها ... وحتى إذا صرت مع الأبرار
والصديقين أفتح فمى بترنيمة المجد وأسبح اسمك القدوس إلى الأبد ...

نشكرك يارب لأنك جعلتنا أهلاً أن نرفع أيدينا إلى فوق ونخدم اسمك القدوس
ونبارك عظمتك ... أعطنا يارب أكثر فأكثر أن نمجدك فإذا تقدسنا نعطي ثماراً تليق بك
ثلاثين وستين ومائة ، ونتجر بالفضة فنقدمها إليك مع الريح لا نعطي نعاساً لعيوننا بل
سهرأ كل ساعة ، ونستيقظ لاستقبال عريسنا عند مجيئه ممنطقين أذهاننا بالحق ،
ومضيئين بزيت البهجة ... اجعل يارب لنا نصيباً فى مقابلتك مع صفوف الملائكة
والقديسين ... فنسجد كما يليق بك ونعابن مجدك الفائق الذى لا يوصف! ..

المجد لمن ألبس الأذلاء ثوب الملوك ، المجد لمن جعل بنى الموت ورثة للحياة ، المجد
لمن نجانا من فم الأسد وجعلنا ورثة لملكه الأبدى .. حيث الفرح والسرور حيث لا
حزن ، ولا بكاء ، إذ هناك قد هرب الحزن والكآبة والتنهيد .

يارب أين سيكون مسكنى فى ذلك الدهر العتيد بعد كمال عمري ؟ أين سيكون
حظى بين المتوجعين فى قاع الجحيم ؟ هل سأكون بين المرغين بالسرور على أسوار
أورشليم ؟ أى الظلمة أم فى النور ؟ أى الشدة أم فى بهجة النعيم ؟ ..

كيف يكون حظى فى السرور والنور وأنا هنا أعمل السرور وأفكر فى الدنس
أتكاسل عن وصايا الرب يسوع ، وأسرع فى طريق الزلل ، نشيط فى الغضب ، متوان
فيما يرضى الرب وليس لى توبة خالصة لأنى مغلوب ومصروع من لذتى ، ليس لى

بكاء ولا تنهد ليس لي صوم ولا تضرع ، ولا شيء يرضى صلاحك يا محب البشر . ويلي كيف أكتب لنفسي العقوبة وأقرر لنفسي الهلاك ؟ حيث لا راحة ولا هدوء حيث نار لا تطفأ ودود لا يموت ، عمق هاوية مظلمة ، شذائد لا وصف لها ، أهوال لا يتصورها العقل ، حيث لا يرجى بعد هذا الضيق نور ، ولا ينتظر بعد هذا العذاب راحة فهو عذاب للأبد ! .

ويحى أنا الشقى إذا كان هذا نصيبى نظير كسلى ، وازدرائى لمن هم دونى ، وحسدى لمن هم أعلى منى ، سكرت بشهوات العالم الزائلة ، أحببت النوم ، كرهت السهر تلذذت بالمأكل ، أعرضت عن الصوم ، انغمست فى الدنس . امتهنت الطهارة ، ملت إلى العناد أكثر من الطاعة ، آثرت الغضب والاضطراب عن الهدوء ، نفرت من السكون وتلهيت بالمجالسات حتى بردت نفسى فكرهت الصلاة التى كانت لذتى .

من أجل كثرة إثمى بردت محبتى ، ولا أطيق حزناً أو تعبيراً حتى وإن كان من أجل اسم الرب ، أسرع نحو المتكأ الأول ، وأرغب فى المديح الزائف حتى لبس جسمى الكبرياء وظننت فى نفسى أنى كل شيء ! ..

ويحى لقد أبغضت السماء وكل خيراتها لأتنعم باليسير من تراب الأرض ، ماذا سيكون موقفى أمام الديان يوم يحىء الرب ليجازى كل واحد حسب أعماله ؟ .

يارب لقد تناسيت الآلام التى جزتها ! نسيت أنك من أجلى شئمت ولعنت وردلوك ، واحتقروك ، وسمعت التعبير بأذنيك فلم تسخط ، احتملت الانسحاق من أجل شقاوتى ، لطموك ، ظلموك ، تفلوا فى وجهك ، احتملت الكل لأجل غباوتى ، أذاقوك المر .. تحملت الكل من أجل خلاصى !

ماذا أقول إن كل هذا من أجلى .. وأنا قط لم أحتمل كلمة تعبير أو ظلماً بسيطاً لأجلك .. لقد اعتزلت العالم وأنا غارق فيه حتى رأسى بقلبى وفكرى لبست زى القداسة وأنا لازلت مديوناً للنجاسة ، وأفسدت طهارة محبتى ..

ياربى إليك أتضرع بصلوات قديسيك ، وبجهادهم المرير ، وأتعاب نسكياتهم التى قدموها عنا بأسهار . وصلوات ، وبكاء ، وأحزان وأصوام ، وقداسة اصفح عن ذنوبى ،

وتغاضى عن جهل وغباوتى إذ لا تشاء موت الخاطيء ولا تؤثر أن يهلك خروفك الضال
عد ونج نفسى واصنع معى حسب صلاحك حتى أترنم مع النبى القائل ارجعنى يا
نفسى إلى موضع راحتك فإن الرب أحسن إليك لأنه قد نجى نفسى من الموت!.

السيح لك يارب ما أعجبك وما أعجب أسرارك.. السبح لمحبتك التى صارت فى
أفواه من يشربها ينبوع ماء تهب الحياة إلى الأبد، والتى إذا ذاق منها أحداً ما صار
باغضاً لكل ملذات تلك الحياة، وكل من أحب بهاءك يلتهب ويحترق قلبه كل حين
بل ويشتهى أن ينطلق من هذا العالم!..

السيح لمن هو مخفى عن الكل، وظاهر للكل بأعماله.. السبح لينبوع الحياة الذى
تشرب منه كل الخليقة، السبح لمن أشرق فى قلوب عبديه معلناً سر الحياة السبح للذى
نجى من الموت نفسى، وعينى من الدموع ورجلى من الزلل لأرضى الرب فى أرض
الأحياء، فاجعلنى أن أسمع كلمة الحياة: «ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالاً
فوجد».

لك المجد والإكرام والعزة والسجود إلى دهر الدهرين آمين.

أقوال

القدس ما أفرأَم السرباني

الفصل الأول:

اليُفْظَةُ وَعَدَمُ النَّاجِئِ

« أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له : يا أبي أخطأت
إلى السماء وقدامك .. » (لوقا ١٥ : ١٨)

حتى متى أيها الحبيب والصديق تكمل كل حين ما يسر العدو، (١) وحتى متى
تخدم الجسدانيات وتتعب لها .

امسك بمشورتى التى تحييك وتطهر نفسك مع جسدك، تقدم إلى المخلص الشافى
كافة الذين يجثون إليه بتوبة حارة .

اهرب من الحية وفسادها لأنه من يصدم بالحجر مرتين فذاك أعمى ولا يبصر ما
يجب أن يهرب منه . إن كان لك حرص فتزايد فى التوبة مستعظفاً الخالق متواضعاً
ومكتسباً، متنهداً ومتوجعاً . مصغياً إلى أواخر زكا العشار، ومتى للذين تبعوا المسيح،
وكذا المرأة الزانية المتنعمة عندما مسحت قدمى المخلص بشعرها انتشلت من جب
المآثم العميق...

أبصر نينوى المدينة الجميلة الصاخبة بالخطايا والرذائل، فوجد أن يقلبها ولما عاين
هؤلاء المتنعمين أصبحوا فى المسح والرماد والصوم، والنوح والدموع متقشفين،
مرتعدين، وصاروا متغيرين، متساوين فى التوبة: الأحرار منهم والعبيد، التجار
والفقراء، الرؤساء والمرعوسين، الذكور والإناث، الشيوخ والأطفال . لما رأهم كلهم
متذللين تراءف عليهم الرب وخلصهم، وهكذا أسرعوا إلى الإغاثة فالرب فاتح
للقارعين يعطى المحتاجين بل يفرح بهم .

إن سقطت تب، ابتهل وتضرع، وأسجد وأطلب فتأخذ، إسأل أن تخلص وإذا
تقومت تقدم، إذا برئت فاثبت، إذا شفيت فابتعد عن المرض، لا تضرم للهييب الذى
أطفأته، لا تعبر بالحماة وتقع فيها تلك التى غسلتها بالجهد، فلا تماثل الجنائزير الذين
يفرحون بالحماة، ولا تشابه الكلاب التى تلحس قيئها .

فمن يضع يده على المحراث وينظر إلى خلف لن يجد الملك، ومن اغتسل لا يعود
إلى الوسخ، فالمسيح واحد، والإيمان واحد، والصليب واحد والقيامة واحدة فلا تصر
عبداً بإرادتك للعبودية والمجد لربنا دائماً آمين .

إلى الآن كنت تعد نفسك بالتوبة وتقول سأتوب (٢) غداً فمن الآن ابعده الخطية

(١) عن المخطوطة : ٢٠٠ ميامر - دير السريان - ميمر ٢٤ بتصرف .

(٢) عن كتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٤٢٨ .

أن تأتيك غداً ، وقل لها إنطلقتى اليوم . ادفع الخطية من يوم إلى يوم كما دفعت التوبة ، واطرد الخطية كما طردت التوبة بالأعذار إلى اليوم وكما كنت تؤخر عمل الصلاح كذلك . افعل بالخطية حتى تجد الغلبة .

جاء في كتاب بستان الرهبان أن شيخاً حدثته أفكاره قائلة له استرح اليوم وتب (٣) غداً فقال (لن يكون ذلك أبداً بل على أن أتوب اليوم ولتكن مشيئة الرب غداً) .

أيها الأخ (٤) اعمل في حداثتك لكي لا تندم في أواخرك (٥) ، لا تنافس الأشرار ولا تبارى الذين يعملون الإثم فإنهم كالحشيش يجفون سريعاً وكبقل الخضرة يذبلون قريباً . توكل على الرب واعمل صلاحاً .

تعالوا يا أحبائي ، هلموا يا آبائي وأخوتي . يا رعية الآب المختارة ، يا جند المسيح الموسومين . تعالوا اسمعوا قولاً يخلص نفوسكم . هلم نتجر ما دام الموسم قائماً . تعالوا نجد الحياة الأبدية . هلم نتبع خلاصاً لنفوسنا . أملأوا أعينكم دموعاً فلولقت تفتح أعين أذهانكم . تعالوا جميعاً أغنياء وقراء ، رؤساء ومرعوسين ، شيوخاً وشباباً ، بنين وبنات ... كل من يريد أن ينجو من العذاب الدهرى ويرث الملك الأبدى ... لنتضرع مع داود النبي قائلين : اكشف عن عيني فأتأمل عجائب من شريعتك (أثر عيني لثلاث أنام إلى الوفاة) (مز ١٣ : ٣) ، ولنتهتف كما هتف الأعمى « يا ابن الله ارحمني » ، فإن منعنا قوم وانتهرونا حتى نصمت فلنصرخ نحن أكثر ولا نضجر من الصراخ إلى أن يفتح أعيننا يسوع المعطى النور، تقدموا إلى المسيح اقتربوا منه واستضيئوا فلا تخزى وجوهكم (٦) .

(٣) عن كتاب بستان الرهبان طبعة ١٩٦٨ م ص ٣١٣ .

(٤) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السريان - ميمر ٤٢ قول ٦٩ .

(٥) يقول القديس مار أسحق « اصطلح أنت مع نفسك تصطلح معك السماء والأرض »

بستان الرهبان ص ٣٠٦ .

(٦) بستان الروح ج ١ للقس شنوده السريانى (مثلث الرحمت المنتيح نيافة الأنبا يؤانس

أسقف الغربية) ص ٥٠ وكتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٣١٨ .

لنتب يا أختي ما دام لنا وقت فقد سمعتم قول المسيح «إنه يصير فرح في السماء بخاطيء واحد يتوب..» أيها الخاطيء لم تتواني؟ لم تياس إن كان يصير فرح في السماء إذا تبت فمن تخاف؟ إن الملائكة يسرون وأنت تتواني! سيد الملائكة هو الكارز بالتوبة وأنت تهرب؟ الثالث الطاهر المسجود له يستدعيك وأنت تتهدء!.

طوبى لمن فكر قائلًا إن العالم لا يدوم.. طوبى لمن قال ويلي أنا الذى أخطأت.. طوبى لمن فكر في علاج جراحاته.. طوبى لمن هو على باب الملك قبل أن يغلق.. طوبى لمن فكر في كل حين في العذاب المعد للخطاة.. طوبى لمن اهتم أن يهيبء له زاداً للطريق الدائم.. طوبى لمن اهتم أن يجعل أعماله صالحة.. طوبى لمن أحب الله من كل قلبه ومن كل نفسه.. طوبى لمن قال في كل وقت إني ميت والميت لا يخطيء.. طوبى لمن أبغض العالم وحفظ وصايا الله.. طوبى لمن هيا قلبه هيكلًا لله.. طوبى لمن جاع بهواه فإن له طعام الحياة.. طوبى لمن تعرى من خطايا هذا العالم فإن الرب يلبسه لباس الملائكة.. طوبى لمن ترك أفراح العالم فإنه يفرح بالرب.. طوبى لمن يشتري هنا حسنات قبل أن يغلق السوق..

فلنستيقظ قبل أن يدركنا الليل وينقضى النهار.. لنستيقظ قبل انتهاء التوبة.. لنستيقظ قبل أن تنقطع الدموع.. لنستيقظ قبل أن يدركنا البكاء الدائم.. لنستيقظ قبل أن تدركنا ساعة الموت.. لنستيقظ قبل تلك الساعة المخيفة التى يقول فيها تباعدوا عنى إلى النار التى لا تطفأ..

فالطوبى لمن ترك أمور هذا العالم التى ستبطل فإن له ما وعد به الرب «ما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢: ٩).

إن هارون نفسه حين أخطأ تاب بينما حفنى وفتحاس كانا يسيران بالتهاون فماتا، وسيمون وديماس حين قاوما الكرازة لم يقبلا، سفيرا وحنانيا لم يعترفا فماتا إنه الأصلح أن أتوجع تائباً أفضل من أن أتنجح وأترفه وقتاً يسيراً.

الذى أعطى العشار الفضيلة، وزكا الخلاص فليرحمنى أنا الغير مستحق.

صلاة لما رأف آرم السرىانى (١)

أيها الرب إلهى الضابط الكل قد أخطأت إلى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً، ولا أن أبصر علو السماء من كثرة آثامى أو أتلو اسمك المجد بشفتى الخاطئة.. إلهى أتضرع إليك لكى لا تطرحنى من أمام وجهك ولا تبعد عنى لثلا أهلك، إذ لولا أنك سترتنى لكنت قد هلكت..

إننى منذ بعدت عن طريقك لم أجد صلاحاً فوقت الخطايا صار لى مرأ أكثر من الأشياء المرة، والآن أترجى نعمتك أن تعيننى لأهتم بخلاصى، وعضدنى أنا الضال، وامنحنى كثرة رحمتك مثل الابن الشاطر..

إلهى لقد بددت ثروة نعمتك فارحمنى ولا تذكر خطاياى وسيرة حياتى الطالحة، كما لم تذكر خطايا الزانية، وكذلك العشار..

ترآف علىّ مثل اللص اليمين الذى كان أشر الجميع فجعلته فى فردوس النعيم..

اقبل توبتى أنا العبد البطال لأنك يا ربى لم تأت لتدعو الصديقين إلى التوبة بل الخطاة.

لك المجد والإكرام والسجود إلى الأبد آمين .

(١) عن ميمر ٢٥ .

الفصل الثاني :

مخاطر النفس والاستعداد

« كونوا أنتم أيضاً مستعدين لأنه في ساعة لا تظنون

(مت ٢٤ : ٤٤) .

يأتي ابن الإنسان »

أيها الأخ الحبيب ثابر على خلاصك (١)، اجلس في هدوء واجمع أفكارك وقل لذاتك أيها الإنسان لك هذا الزمان وأنت صانعاً الشهوات؟!!

ماذا انتفعت؟ ماذا ربحت؟ هل زدت على قامتك ذراعاً واحداً. لقد صرت سميناً فما خزنت لذاتك شيئاً آخر سوى طعام الدود؟ إنك أشبعت ذاتك خيرات فهل كنزت لك كنزاً في السموات؟ وكيف ستفعل عند خروجك من العالم؟.

ويلك يا نفسى إنك في مثل هذه السيرة.. ها أخوتك قد تزينوا بالفضائل هؤلاء المتقون الله بالحقيقة، وأنا ذهبت إلى الظلمة، بالعادة أندم على الأعمال التي عملتها وفي الليلة المقبلة أكمل أشر منها، الرب وهب لي حياة وصحة وبهما أغضب من الذى خلقنى .

يا نفسى لماذا تتوانين؟ لماذا تتهاونين؟. يا نفسى اعرفى ضعفك وحتى متى تقاومى من خلقك، وتخالفى وصاياه؟

أيها العدو الخبيث قد جعلتنى عاراً للملائكة والناس، مطيعاً لمشورتك المناقفة إذ أوحيت لى قائلاً اعمل شهوتك مرة واحدة ولا تصنعها بعد، وها هى تلك الصغيرة قد صارت لى عظيمة، وما يمكننى أن أقاتل شهواتك الخبيثة ذات الألوان الكثيرة. لأن الماء إذا وجد ثقباً صغيراً فباستمراره صنع منه هوة عظيمة..

لقد أظلم ذهنى بالأفكار الدنسة فأتيت بى إلى حب الخطية. لمن أقول فيبكى علىّ أنا الشقى إذ العدو أوقضى مجرداً لكى لا أنظر إلى الإتكال على الله [ولكننى لا أياس من خلاصى إذ هو جزيل التحن كثير الصلاح].

وماذا أقول للعدو لأنه حل نسكى من أجل مرضى وجعلتنى غريباً عن السهر فى الصلوات، غرس فىّ حبة الفضة، جفف دموعى، غلظ قلبى، فصلتنى عن إطاعة المسيح، صيرنى حسوداً، الخشبة التى فى عينى لم يسمح لى أن أبصرها، وقذى أخى يقدمه أمام عينى، يشير علىّ أن أكنم أفكار قلبى، وإذا سقط أخى فى هفوة يجعلنى

(١) عن ميمر ٢٨ بتصرف - المخطوط ٢٠٠ ميامر - دير السريان .

أهد فيها (٢) .

لقد علمنى العدو أن أكون متكبراً و غضوباً ، وجعلنى شرهاً وسكيراً ومحباً للذة ...
خسارات نفسى جعلها عندى فوائد ، صيرنى مندمراً ، علمنى أن أكون منزهاً عن
القراءة والترتيل ، أصلى ولا أعرف ما أتلو، يسببني ولست أعلم مراراً كثيرة .

« هلمى يا نفسى من الآن إلى ذاتك فى اعتماد على من خلقتك ، ولتذكرى نعمة
من سترك لثلاثا بيتعد عنك . يا نفسى إهربى من إبليس فإنه قاتل الإنسان منذ القديم
فإن اقتربتى إليه لا يشفق عليكى من الهلاك . فالصقى بالإله المتعطف على البشر ،
استحى يا نفسى من الآن واقبلى إلى طريق الخلاص » .

+ ينبغى لنا أن نحزن لأن نسيج حياتنا يبلى (٣) كل يوم ، الأيام تجرى لتطردها
من الدنيا ونحن لا نسرع إلى عمل الحسنات . وهذا هو الحزن الكبير أن أيامنا تجرى إلى
الوراء والخطايا إلى الأمام !

الحياة تنقضى والذنوب تكثر ، ونحن كمثل بيت كثير المصروفات وليس له من
إيراد فهذا سريعاً يحزب ، الأيام والليالى دائبة تجرى فتقضى من أعمارنا ، النهار يدفعنا
للليل ، والليل يدفعنا للنهار ، ليس لنا اليوم الحياة التى كانت لنا أمس . اجعل اليوم
توبتك لثلاثا يأتيك الموت فى هذه الليلة الأمر الذى قد تهيئت أن تفعله ابدأ به الساعة .
إن تحركت فىك فكرة صالحة لا ترقد حتى تبدأ فى عملها .

أيام حياتك ليست لك ، ولا تعرف كم عددها ! ولست تدري متى يدركك
الموت ، لست تدري اليوم ماذا يأتيك به الليل المقبل فمن الآن اسرع قبل أن يسوقك .
أجر لثلاثا يدركك ، اسرع قبل أن يحبك ..

اليوم هو لك أما الغد فلست تدري لمن يكون؟! أنظر إلى النهار ما أسرع ذهابه
فاحرص أن تذهب معه خطاياك . لا تغمض عينيك للرقاد حتى تفتح قلبك للصلاة .

(٢) يقول القديس مقاريوس .. « أحكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكموا عليك » بستان
الرهبان ص ٢٢ .

(٣) عن كتاب الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٤٢٥ - ٤٢٧ (٣٩٣ والمخطوطة ٣١٨
ميامر - دير السريان .

بالعشاء ابتعد عن خطاياك وبالغداة اظهر صلاحك، لا يكن قولك بعيداً عن عملك. قبل أن تقول تهيأ للعمل، إن تحركت فيك فكرة صالحة فمن ليلتك ابدأ بعملها واغتنمها، وإن تحركت فيك فكرة الحسنات فمع طلوع الشمس ابدأ بعمل الصلاح وابتعد عمل الشر، لا تتعب في شيء ليس هو لك، وتضع شبابك باطلاً، لا يكن قلبك منشغلاً عما يغنى، عازفاً عن العمل الصالح، الحياة سريعاً تذهب والموت سريعاً يجيء. الزمان سريع الذهاب وهو متعجل أن يجوز ما خلا يوم توبتك فلا يريد أن يأتي؟.

في شبابك كنت تقول أتوب! إذا ما كبرت مضى الشباب وجاء الكبر، لم تتب، أفنيت شبابك بأوجاع الشهوات والذنوب، وعندما كبرت لا ترغب أن تتوب...

من يوم إلى يوم تطرد التوبة وأظنها قد هربت منك. في شبابك قلت أبقى حتى أصنع هوى وأتوب عنها، منها قد كبرت اطلب التوبة قبل أن يطلبك الموت فإن بعد الموت ليست هناك توبة، الأيام التي مضت تحبرك عن الأيام التي تأتي. الأولى لم تختبئ والأخرى لا تبقى. قد كنت بعيداً عن يومك، وفجأة أردكك، وها هو مسرع إلى الذهاب كما ذهبت الأيام السابقة. انظر إلى نفسك قبل أن يجوز يومك وأذكر أن شبابك لن يدوم، تعبر مثل الظلام ومعها تنقضى حياتك.

+ كما أن الصعوبة في بناء بيت ما ليست في وضع الأساس بل في الارتقاء بالبناء إلى العلو اللازم. بمقدار ما يزداد البناء ويرتفع يزداد التعب والكلفة هكذا حال البناء الروحي فإن الصعوبة الأشد ليست في وضع الأساس بل في البلوغ إلى كماله الأقصى!.

+ « لا شيء أعلى قدراً من خلاص النفس (٤) فمن أجلها يا أختي ينبغي أن نهتم ونستعد كل يوم ولا نفنى زماننا في الاهتمام بالجسد، فإذا جاع الجسد وطلب طعاماً تذكر أنت أن النفس أيضاً تطلب حاجتها، وكما أن الجسد إن لم يتناول خبزاً لا يستطيع أن يعيش كذلك النفس إن لم تتغذى بالحكمة الروحية فهي مائه ... (٥)

(٤) عن المخطوطة ٣١٨ ميامر- دير السريان . بتصرف .

(٥) الذي يحظى يريد أن ينهي علاقته مع الله .. فالابن الضال لما أخطأ ذهب بعيداً عن أبيه

.. فاسأل نفسك هل أستطيع أن أستغنى عن الله؟.

فلنتب زماناً يسيراً ولنملك إلى الأبد.. ليكن المزمور كل وقت في فمك مادام لنا
أوان التوبة فلنداوه بالعبرات أى بالدموع لأن وقت التوبة قليل وملك السموات لا
نهاية له . نحن نطوب القديسين ونتوق إلى أكاليهم . هل تظنون أنهم كللوا بغير أتعاب
وأحزان؟.

أية راحة كانت للقديسين في هذا العالم؟ بعضهم ضربت أعناقهم ، وآخرون ذاقوا
الاستهزاء ، دفعوا للسياط والقيود والحبس ، رجوا ، نشروا وماتوا بحد السيف . طافوا
بجلود غنم وبجلود معزى معوزين مذلين . تائهين في البرارى والجبال والمغائر وشقوق
الأرض .. وفي سرور احتملوا كل هذه وغيرها إذ كانوا ينظرون إلى الخيرات المحفوظة
في السموات التى لم ترها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر التى أعدها
الله للذين يحبونه ...

الويل للمتوانى لأنه سيطلب الزمان الذى أضاعه عبثاً ولا يجده .. ولنطلب يا
أخوتى الملك الذى لا نهاية له ولا انقضاء ، لنطلب ذلك الفرح الدائم فنكون مع المسيح
الذى له المجد الدائم الآن وإلى الأبد آمين .

+ أطلب إليكم يا أخوتى أن نسارع (٦) من الآن لنوجد عنده غير دنسين .. إذا
جاءتك شهوة أو فكر ردىء فاستل سيف التفكير في مخافة الله ليقطع قوة العدو ، وليكن
لك عوض البوق الكتب المقدسة إذ كما أن صوت البوق يجمع الجند هكذا الكتب
الإلهية تهتف فتجمع أفكارنا إلى مخافة الله ... وأيضاً تنهضك بنشاط وتشجعك على كافة
الآلام .. لذا يا أخى اغضب ذاتك بكل طاقتك أن تقرأها دائماً . إذ بسوء حيله أن
صارع إنسان الفكر ولم يستطع أن يقهره حينئذ يأتى به إلى الأحزان ويظلم عقله
وذهنه .. فإن لم يوجد الإنسان مستيقظاً يستطيع أن يتلعه حياً إلى الهاوية ، فإن لم
يمكنه بهذه الحيلة يمنحه رفعة وطغياناً التى هى أشر من كافة الآلام ، وهذه تأتى بالعقل
إلى عمق اللذات فلا يعرف ضعف طبيعته ، ولن يتذكر يوم وفاته . إنه يمشى فى الطريق
الواسعة تلك المؤدية إلى الهلاك ..

لذلك يا أخى تيقظ واحرص دائماً أن تلتصق بقراءة الكتب الإلهية لتعلم كيف

(٦) عن ميمر ١٨ المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السريان .

تهرب من فخاخ العدو وتدرك الحياة الأبدية . ثابر على القراءات والصلوات ليستضيء
ذهنك ويصير إلى التمام .

يوجد قوم يفخرون بمخاطبة الرؤساء والملوك فلتفخر أنت أمام الملائكة إذ تخاطب الله
بالروح القدس ، وبقدر ما تخاطب الله بقدر ما يتقدس جسدك وروحك .

إذا كانت يداك تعمل عملاً ما فصلى بذهنك فإن حنة النبوة كانت منسكبة في
صلاة قلبية عميقة جداً!

إذا كنت لا تعرف قراءة الكتب الإلهية فاذهب إلى من هو عالم بما فيها واستمع
إليه فمغبوطون هم الذين يفحصون عن شهادته ويطلبونه من كل قلوبهم . احذر
الضجر والقراءة بلا اهتمام لأجل أن يشغلك بأمر آخر بل صر كالإيل الذي يشتاق أن
يأتي إلى عين الماء أى الكتب الإلهية لتشرب منها . لا تهملها بل ردها واكتبها في
قلبك واحفظها في ذهنك إذ كنت أتلو في حقوقك وأيضاً « بما يقوم الشاب طريقه ؟
بحفظه أقوالك . بكل قلبى طلبتك فلا تبعدى عن وصاياك . خبأت كلامك في قلبى
لكى لا أخطيء إليك » (٧)

من ذا الذى يتذكر أقوال الرب ولا يقوم طريقه أن مثل هذا يدعو ذاته مسيحياً
لكن يمجّد أعمال المسيحى لذا يأمر أن ينزع منه عمل الروح القدس الذى أخذه قيصر
بمنزلة إناء نبيذ يرشح كثيراً فيضيع ما فيه والذين يبصرونه يظنون أنه ممتلئ لكن
حقيقته فارغ .. هكذا ذلك الإنسان عندما تنكشف حقيقته أمام الجميع يوم الدينونة
مثل هؤلاء يقولون أليس باسمك صنعنا قوات ؟ .. فيقول لهم .. إنى لم أعرفكم (٨) .

تذكر هذه الأقوال التى سمعتها وقوم طريقك ولا تدع النسيان يخدرها وينزعها من
قلبك ... لا تدع الحبيث يأكل زرع ابن الله .. ولتخبيء التعليم الصحيح فى قلبك فيثمر
بالتقوى .

جاوز القراءة مرتين وثلاثة ومراراً كثيرة وأطلب أولاً إلى الله قائلاً ياربى يسوع
المسيح افتح ذهنى وقلبي لأسمع وأفهم وأصنع مشيئتك . اكشف عن عينى فأتأمل

(٧) (مزمور ١١٩ : ٩ - ١١) .

(٨) (مت ٧ : ٢٢ - ٢٣) .

عجائب من شريعتك .. أطلب إليك يا أخى لا تزعم إنك حكيم وتفهم ما هو مكتوب ... فإن كلمات الله كالفضة المحماة سبعة أضعاف وليس فيها عيب بل هى مستقيمة للذين يفهمون .

كما أن السيف يقطع عصب الفرس ويلقى راكبه هكذا (٩) العزم الردىء يقطع قوى النفس ويدفعها إلى الحزن .

من هو الذى يريد أن يمضى إلى مدينة مسافتها خمسون غلوة فيمضى تسعة وأربعون غلوة وتنقصه غلوة واحدة . هل يقول إنه وصلها ؟ لأنه قد خرج من عند أهله وموطنه !؟ .

يوجد من (١٠) يترك موضعه لأجل الفضيلة ، وآخر لالتماس البطالة وعدم الخضوع .

يوجد من يفحص عن الحكمة ، وآخر يبنى كثيراً السبح الباطل .

يوجد من يخضع ويطيع من أجل وصية المسيح ، وآخر لأجل فائدة دنيئة .

يوجد من يمدح قريبه لأجل وصية المسيح ، وآخر لأجل استرضاء الناس .

يوجد من يدفع ذاته لأجل وصية المسيح ، وآخر يثلب قريبه لأجل نهم البطن .

يوجد من يعمل كثيراً من أجل الصدقة ، وآخر من أجل محبة الفضة .

يوجد من يعمل فى غير وقت العمل ، وفى وقت العمل لا يعمل .

يوجد من يسبح ويعلى صوته ، وفى وقت التسيح يسكت أو يكلم قريبه فى الباطل .

(٩) عن ميمر ٣٢ المخطوطة ٢٠٠ ميامر .

(١٠) عن ميمر ٦ بتصريف (المخطوطة السابق ذكرها) .

يوجد من يسهر باطلاً ، وفي وقت السهر ينام (١١) .

إن قلوب الناس مكشوفة لدى الله ، بدء السيرة الصالحة الدموع في الصلاة وإستماع الكتب الإلهية ، ربوات كتب في أذن الجاهل تحسب لا شيء ومن هو الجاهل إلا المتهاون بمخافة الله ، فإن قلب الحكيم يقبل الوصايا بأوفر حكمة .

لا تقاوم الشر بالشر (مت ٥ : ٣٩) ، لا تمنع شيئاً عن أحد لثلاث تلام (١٢) إذا هلك ، لا تتلون في احترامك للناس حسب المقتنيات ، لتكن كل الأشياء عندك كأنها غير موجودة والله وحده هو الموجود ، إذا سألت قرينك ولم يعطك ما تريد فأحرص لثلاث تخرج كلمة غضب من فمك تقطر مرارة ، لا تقاوم الدوافع الصالحة لأن تغيرات ميول النفس كثيرة ، أبعء الأسي عن جسدك والحزن عن فكرك .. (جا ١١ : ١٠) إلا ما يتعلق بخطاياك وهذا كفيل أن يجعلك في حزن مستمر . لا تكف عن العمل حتى ولو كنت غنياً لأن الكسول يكثر ذنوبه بكسله .

(١١) « لنحاسب أنفسنا في ضوء مقاييس الكمال المطلوب وأفضل الناس هو الذي يحاسب نفسه على العمل قبل عمله أيجوز لي أن أفعل هذا أم غيره ... إلخ » عن محاضرة لقدااسة البابا شنودة الثالث .

(١٢) مترجم عن : The Writings of Niciene V.13 Page 334

صلاة القديس (١)

أقبل يارب توسل من عاهدك أن يرضيك فكذب ، أسألك يارب نجني من الخطايا المحيطة بي فأصير معافى وأنهض من سرير الخطية المفسدة فإنني منذ طفوليتي صرت إناء للإثم أسمع بالدينونة ولكنني أتهاون مع أن لي خطايا وجرائم تفوق العدد . أتذمر على الآخرين إذا لم يبتعدوا عن الأشياء غير النافعة ولكني أنا أكملها مضاعفة . ويلي في أى خزي قد حصلت ، ويلي فإن باطني ليس كظاهري فإن لم تدركني رأفتك سريعاً فليس لي من أعمالى رجاء للخلاص ، أتكلم عن الطهارة وفكري في الفجور ، أقول عن عدم الخطية وفيّ يوجد الميل نحوها ليلاً ونهاراً فبأى وجه أتقدم إلى الإله العارف مكنونات قلبي ، ماذا أنتظر أنا ومثل هذه الذنوب الكثيرة موضوعة علىّ . أنا أثق برأفتك يارب أن تعتق قلبي من الخطية فقد عمى قلبي وأظلم ذهني فلماذا يارب أطلب إليك أن لا تطرحني مع القائلين يارب يارب ولا يعملون مشيئتك ، بشفاعة الذين أرضوك لأنك أنت العارف جراحات نفسي . اشفني يارب فأبرأ ، وأعطني أنا العطشان من ينبوع الحياة الذى معك . أنر قلبي يا من يضىء لكل إنسان آت إلى العالم ، وأرشدني أنا الضال إلى طريق الحياة قبل أن أجتذب مع فاعلى الإثم ، لأن الخطية لم تترك فيّ عضواً واحداً صحيحاً أو حاسة لم تفسدها . والموت على الأبواب ولست أفكر فيه .

فإليك أطلب يا طبيب الأنفس أنظر إليّ أنا السقيم ، أيها الراعى أنظر إليّ أنا الضال ، أيها الملك أنظر إليّ أنا الأسير لأنال الخلاص من الخطايا المحيطة بي . وهبني عوض الجهالة معرفة لأنه لا يصعب عليك شيء لأنك فتحت في البحر مسلماً وأجريت الماء من الصخرة الصماء .. خلصت الواقع بين اللصوص فخلصني أنا الواقع في الخطايا فليس لي دالة لديك يا فاحص القلوب والكلى ، ولا يستطيع أحد أن يشفى أوجاع نفسي إلا أنت العالم أعماق قلبي ، فلذلك أقرع الآن لتفتح لي ... جردني يارب من كل عمل خبيث قبل أن يدركني الموت حتى أجد نعمة أمامك في ساعة الوفاة ، وأكون أهلاً للملك سماواتك لكى إذا حصلت على السرور الذى لا ينطق به أقول : المجد لمن خلص نفساً مغمومة من فم إبليس وجعلها في جنة النعيم برأفته ورحمته إلى الأبد آمين .

(١) عن كتاب أمام عرش النعمة (ص ٧٥ ، ٧٦) .

الفصل الثالث :

تذكر الموت والدينونة

« وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ، ودين الأموات

بما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم »

(رؤ ٢٠: ١٢)

هنا يستجيب لنا ويغفر ويمحو آثامنا . هنا التعزية وهناك (١) الدينونة هنا التآني وهناك الشدة، هنا الراحة وهناك الضيق، هنا إمتلاك السلطة على الذات وهناك مجلس القضاء، هنا التمتع وهناك العذاب، هنا الضحك والتهاون وهناك النار الأبدية، هنا التزين وهناك الشقاء، هنا التصلف وهناك التذلل وصرير الأسنان، هنا الخدور المذهبة وهناك الظلمة المدهمة .

وإذ عرفنا هذا أيها الأحباء فلم نتوانى في خلاصتنا، ولم تحل لنا محبة الأشياء الأرضية ولم نتهاون في دموعنا والوقت ملك لنا ولكنه قليل .

إنه بالتوبة يغفر الله لنا سائر خطايانا . ابك ههنا قليلاً لئلا تبكى هناك إلى أبد الدهور في الظلمة الخارجية، صر ههنا مستيقظاً لئلا تلقى هناك في النار التي لا تطفأ، ابك ههنا وتضرع عن خطاياك فتصير لك التوبة خالصة .

لقد خاطبتكم بهذا ولست في حياتي أسلك بالطهارة لكننى بألم وحزن ناظراً بذهنى ما هو عتيد لنا وأنا في النوم والتوانى . إننى يا أختوى نجس وموافق بأفكارى وأعمالى، غير عارف في ذاتى شيئاً صالحاً البتة لكننى الآن في استرخاء وخاطيء بنيتى وقواى، هذه الأقوال أقولها من أجل محبتى لكم لأن الحزن يحوط قلبى دائماً من أجل دينونة الله الرهيبة لأننا متهاونون دائماً ونحسب أننا سنعيش في هذا العالم الباطل إلى الأبد لكن هذا الدهر يعبر وكل ما فيه ! ونحن يا أحبائى سنطالب بالجواب عن هذه الأمور لأننا نعرف ما هو نفيس لأنفسنا ونفضل ما هو ردىء، بل ونستهين بمحبة المسيح الإله ومملكه ونكرم ما هو أراضى . إن الذهب والفضة لا تنقذنا من النار المرهبة، والثياب والتنعيم يكون لدينوتتنا، الأخ لن يفدى أخاه، والأب لن يفدى ابنه لكن كل أحد يقف في موضعه : في الحياة أم في النار .

كثير من الصديقين زهدوا هذا العالم بإختيارهم إذ تاقوا إلى المسيح وأكرموه كثيراً فلذلك هم في كل حين مبتهجون ومضيقون بالمسيح، والثالوث القدوس يبتهج بهم ورؤساء الملائكة والناس في كل وقت يطوبونهم فوهب له الإله القدوس ملكه

(١) ميمر «١٠» عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر دير السريان بتصرف .

وسيعطيهم مجداً أعظم! إذ يبصرونه مع الملائكة والقديسين كل حين بسرور.

لقد خلقك الله بفهم وقيّم فلماذا تماثل البهائم الفاقدة للنطق؟!؟

عد إلى نفسك أيها الإنسان ، وانظر أنه من أجلك نزل الإله من السماء ليرفعك من الأرضيات إلى السماويات ، قد دعيت إلى الحتن السماوي فلم تتهاون؟ قل لي كيف يملكك أن تذهب إلى العرس وليس لك حلة العرس؟ وغير ممسك مصباحاً وإن دخلت بتهاون سيقول الملك لغلمانه أوثقوه من يديه ورجليه وأطرحوه في أتون النار حيث العذاب الأبدي.. إذ سبق أن جئت ودعوت الجميع إلى عرسى وقد احتقر هذا دعوتى ، واستهان بمملكتي ولم يعد لباس العرس...

ألا ترهب أيها الإنسان هذا؟.. وأما علمت أن كافة البرايا ستمثل أمامه حين مجيء ذلك الملك السماوى... قوموا وأبصروا الرب الذى يشبع النفوس والذى أحببتموه وتألمتم من أجله! تعالوا وافرحوا معه حيث لا ينزع أحد فرحكم ، هلموا فتمتعوا بالخيرات التى لم تبصرها عين ولم تسمع بها أذن ولم تخظر على بال إنسان ما أعده الله «للذين يحبونه» (٢).

فمن يعطى لرأسى مياهاً كثيرة ولعيني عيناً نابعة دائماً دموعاً مادام لي وقت تنفع فيه العبرات فأبكى على نفسى النهار والليل!..

اتخذ في كل وقت في عقلك خشية الله متذكراً اليوم الأخير (٣) المخوف حين تضطرم السموات وتنحل وتحترق الأرض وكافة ما بها.

تساقط النجوم ، والشمس والقمر لا يعطى ضوءه... حينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً في سحابة بقوة ومجد كثير (٤)... تصير الزلازل والبروق.. التى لم تصر قبلاً مثلها.. حتى أن قوى السموات يشملهم الرعب والرعدة.. فكيف سيبلنا أن نكون إذأ يا أختوى وأية رعب يكون لنا؟.

(٢) (١ كو٢ : ٩) .

(٣) عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - ميمر ١٨ بتصرف .

(٤) (لو ٢١ : ٢٥ - ٢٧) .

تأمل بنى إسرائيل في البرية إنهم لم يستطيعوا أن يحتملوا الضباب الشديد وصوت المتكلم في وسط النار.. مع أنه لم يخاطبهم بسخط . فاسمع يا أخى إن كانوا لم يحتملوا هذا حين لم تلتهب السموات ولم تنحل الأرض وتحترق عناصرها ولم تضرب الأبواق فتنبه الراقدين ولم يصير شيء من الخوف العتيد أن يكون.. فماذا نصنع عندما يجيء برعدة ويجلس بمجد على عرشه ويستدعى جميع الأرض من مشارق الشمس إلى مغاربها ليجازى كل واحد عن أعماله؟.

ويلي ثم ويلي كيف سبيلنا أن ندخل عراة ونمثل أمام هذا الموقف الرهيب؟.

أين حينئذ ذلك الجمال الزائف وغير النافع؟ أين تلذذ الناس بالخطايا، أين الدالة الفاقدة الحياء؟ أين التزين بالثياب؟ أين لذة الخطية النجسة؟ أين الذين كانوا يشربون الخمر على الأغاني ولم يعانوا أعمال الرب؟..

أين العاشقون بالتواني والنفاق؟ أين التمتع والتلذذ؟ كل تلك عبرت وانحلت . أين حينئذ محبة الفضة وأين حب الاقتناء؟ أين حينئذ الكبرياء والغطرسة الراضية للجميع والتي تحسب ذاتها وحدها أنها شيء؟.

أين وقتئذ المجد الباطل ، أين التمرد؟ أين الملك؟ أين الرئيس؟ أين المدبر؟ أين السلطان؟ أين المتنعمون والمتهاونون؟.. إنه هناك يشملهم الفرع المرعب .

أين حينئذ حكمة الحكماء الباطلة؟.. ويلي ثم ويلي أين الحكيم أين الكاتب أين مباحث هذا الدهر . (٥) .

يا أخى ردد الفكر كيف سبيلنا أن نكون حينئذ عندما نطالب أن نؤدى جواباً عن أعمالنا واحدة فواحدة كبيرة أم صغيرة.. أمام القضاء العادل! كيف يكون حينئذ الفرح الذى لا يوصف للذين يقول لهم الملك «تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم» حينئذ تأخذ ملكاً وتاجاً حسناً بهياً من الرب وتملك مع المسيح بل وترث الخيرات التى أعدها للذين يحبونه وتكون هناك بلا هم ولا حزن!..

تفكر يا أخى فيما هو ملك السموات مع المسيح فيكون لك نوراً أبدياً حيث لا

(٥) (١كو ١ : ٢٠) .

تكون شمس ولا قمر! فأنظر أى مجد قد أعطى للذين يتقونه ويحفظون وصاياهم؟! ثم تفكر فى هلاك الخطاة إذا مثلوا أمام القاضى العادل حيث لا يكون لهم عذر. أى خجل يشملهم عندما يفرزوا عن يساره وبغضب يقول لهم «أنصرفوا عنى إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته» (٦).

ويلى ويلى أى نوح يكون لهم ليعذبوا إلى الدهر الذى لا نهاية له. ويلى كيف يكون بكأؤهم وصرير أسنانهم؟ ويلى كيف هى نار جهنم؟ كيف الدود الذى لا ينام والنفاث بالسم؟ ويلى ويلى أية شدة هى تلك الظلمة الخارجية.. إنهم يصرخون وليس من يخلصهم ولا من يستجيب لهم. حينئذ يصرخون: باطلة هى كل أمور العالم!

أين حينئذ اللذة الكاذبة للخطية إذ لا توجد لذة إلا فى مخافة الرب ومحبه المحبة الحقيقية التى تملأ النفوس وتشبعها كأنها من شحم ودسم! إنهم يقولون معترفين فى ذلك الوقت إننا سمعنا بهذا ولم نرجع عن أعمالنا الرديئة ولا ينتفعوا شيئاً بقولهم هذا...

ويلى ويلى أنا المقبوض بخطايا أكثر من رمال البحار وقد أنحنيت تحتها بأغلال من حديد كثيرة وليست لى دالة أن أبصر وأتفرس فى علو السماء إلى من ألتجىء إلا إليك أيها المحب الإنسان والمحتمل نقائصه «اللهم أرحمنى (٧) كعظيم رحمتك ومثل كثرة رافاتك أمح آثامى فإن خطيئى أمامى فى كل حين إذ لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت» ولكثرة تعطفك أعرض عن خطاياى من أجل اسمك القدوس، ليس لى عملاً صالحاً لكننى أطرح ذاتى أمام رافاتك لتعطنى قلباً نقياً فأتعبد لك منذ الآن وكافة أيام حياتى إذ تسبحك كافة القوات السمائية!

أيها الأخوة تعالوا كلكم واسمعونى أنا الحقير أفرآم (٨) فنجلس فكرنا قاضياً

(٦) (مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦).

(٧) (مزمور ٥١) «مزمور التوبة والانسحاق».

(٨) عن ميمر ٣٥ بتصرف.

ليتأمل قلبنا، إن كنا سالكين كما تقول الكتب الإلهية أم نجحد الروح القدس الذى به ختمنا. فإن شاهد أحدنا فى ذاته شيئاً من النقص فليحرص أن ينمو بتواضع النعمة التى أخذها من ذلك المحب للناس!، وإن كنا ملومين بالخطايا فلم نضع أيها الأخوة التائبين إلى المسيح لأنه هوذا أتى اليوم المرهوب الذى فيه تظلم الشمس وتتساقط النجوم وتنطوى السماء كالدرج، ويضرب البوق العظيم بصوت مرعب، فيوقظ الموتى جميعهم وينهدم الجحيم ويحيى المسيح على السحب مع ملائكته القديسين ليدين الأحياء والأموات ويجازى كل واحد كأعماله.

بالحقيقة إنه مرهوب جداً ذلك المجيء لأنه عجيب يا أحبائى أن نبصر السماء مفتوحة والأرض متغيرة والموتى قيام.. فالأرض تسلم جميع ما فيها وكذا ما أفرسته الوحوش أو ما أكلته الطيور... إذ الكل يأخذ جسداً آخر وحسب أعماله فأجساد القديسين تلمع أكثر من الشمس أضعاف أما الخطاة فتوجد أجسادهم مظلمة وموعبة نتناً، ويصير فحص أعمالنا بشدة الكلام أم الأفكار.. الخ. هذه تصبح ظاهرة أمامه يبصرها جميعها. فلنجاهد يا أخوتى أن نفلت من التعير والحزى المرهوب الذى لكافة الخطاة وأن نصير مشاركين تلك الخيرات التى أعدها الله للذين يحبونه.. تلك التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها.

تأتى الملائكة فتخطف كافة القديسين بمجد لإستقبال المسيح فلنحرص يا أخوتى أن نكون مستحقين لذلك الاختطاف.

« لا نضع أيها الأخوة المحبون للمسيح مادام لنا وقت » بل لنحرص أن نغلب آلام الجسد والنفس.

هلموا يا أخوتى وأسمعوا مشورتى أنا أفرآم (٩) الخاطيء والفاقد الأدب فما قد نذب يا أحبائى ذلك اليوم المخوف ونحن فى التوانى والتزهر غير مؤثرين أن نتفطن فى عبور هذا الزمان اليسير ونحرص أن يغفر لنا الله. فما الأيام والشهور والسنين تعبر كالمنام.. ومثل ظلال المساء ليوافق مجيء المسيح المرهوب العظيم لأنه بالحقيقة مرهوب للذين لم يؤثروا أن يعملوا مشيئة الله ويخلصون.

(٩) عن ميمر ١٧.

فأتضرع إليكم يا أخوتي هلموا فلنطرح عنا الاهتمام بالأمور الأرضية لأن كافة الأشياء تزول وتفنى، وليس ما ينفعنا في تلك الساعة سوى الأعمال الصالحة التي اكتسبناها هنا، لأن كل واحد يحمل أقواله وأعماله قدام قضاء الحاكم، القلب والكليتان ترتعدا حين يصير فحص الأعمال والأفكار..

خوف عظيم يا أخوتي، رعدة عظيمة يا أحبائي. من ترى لا يرتعد، من ترى لا يبكي، من ترى لا ينتحب إذ هناك تظهر الأعمال التي عملها كل أحد في الخفاء والظلمة. أفهموا يا أخوتي هذا المعنى.. الأشجار المثمرة من باطنها في أوان الأثمار تبرز الثمر مع الورق، تكتسى من خارجها بجمال وحسن وبهاء لكن من باطنها تغطي كل واحدة ثمرها حسب طبيعتها. هكذا في ذلك اليوم المرهوب يبرز كافة الناس وتظهر أعمالهم إن كانت صالحة أم شريرة، وكل واحد يحمل ثماره (أعماله) وأوراقه (كلامه) فالقديسون يحملون الثمر الغض نضارته، والشهداء يحملون فخر صبرهم على التعذيب، النساك يحملون النسك والمسكنة. الحمية، السهر، الصلاة، والناس الخطاة المنافقون والدنسون يحملون ثمراً قبيحاً، ويكونون مرعبين خزياً وعبرات ودود لا يرقد في النار التي لا تخمد، مهول يا أخوتي مجلس القضاء هناك لأن كافة الأشياء بغير شهود تظهر الأفعال، الكلام، الأفكار.. وبحضر المائتين هناك ربوات ربوات، وألوف ألوف رؤساء ملائكة وملائكة، الشاروبيم والسارافيم، الصديقين والقديسين، الأنبياء والرسل، الجماهير التي لا تحصى.

قَلِمَ نتوانى يا أخوتي الأحباء فإن الأوان قد حان، واليوم قد بلغ حين يظهر الحاكم المرهوب مكتوماتنا إلى النور، فلو عرفنا ما قد أعد لنا يا أخوتي لبكينا كل حين في النهار والليل، متضرعين إلى الله أن ينجينا من ذلك الحزى والظلمة المدهمة لأن فم الخطيء ينسد أمامه والبرية كلها ترتعد وكذلك تتزعزع القوات السماوية من ذلك المجد وقت مجيئه.

« ماذا نقول له يا أخوتي عن توانينا في ذلك الوقت يوم الدينونة؟ » إنه يتمهل ويجذبنا كلنا إلى ملكه وسيطالبننا بجواب عن هذا التوانى الذى لنا في ذلك الزمان اليسير، فيقول لنا بذاته إنى من أجلكم تجسدت من أجلكم مشيت على الأرض جهاراً، من أجلكم جلدت، من أجلكم بُصق علىّ، من أجلكم لُطمت، من أجلكم

صُلبت مرفوعاً على خشبة، من أجلكم أنتم الأرضيين سُقيت خللاً لكيما أجعلكم قديسين سمائيين، وهبت لكم الملك الذى لى، أعطيتكم الفردوس وسميتكم كلكم أخوة لى! وقربتكم إلى الآب وأرسلت إليكم الروح القدس. فأى شيء أكثر من هذا لم أصنعه لكم لتخلصوا!؟

فولوا لى أيها الخطاة والماتون ما أصابكم من أجل السيد المتألم من أجلكم؟. ها قد استعد الملك فبحسب ما يسلك كل واحد يعطى.

ضع نفسك تحت نير الناموس حتى تصير حراً بالحقيقة (١٠)، لا تتمم مشيئة نفسك منفصلة عن حد ناموس الله، لا بد أن أكتب الكثير من الوصايا وأن أحضر العديد من الشرائع التى يمكن أن تتعلمها من نفسك إذا كنت تسعى إلى تحرير نفسك، وإذا كنت تحب النقاوة فلا بد أن تقوم بتعليمها لآخرين أيضاً، لتكن الطبيعة هى كتابك الذى تقرأه، والخلقة كلها جداولك وتعلم منها الشرائع والناموس وتأمل المعرفة غير المكتوبة. الشمس فى مدارها تعلمك الراحة من العمل والتعب، الليل فى سكونه يعلن لك أن هناك حدوداً.

الصديقون تكون الدينونة (١١) نصب أعينهم دائماً، كما أنه معد للناس أن يموتوا مرة واحدة ثم الدينونة. لذلك يطلبون ليلاً ونهاراً سائلين أن ينجوا من نار جهنم ومن العذاب الأبدي وأن يؤولوا مع الملائكة وأما المنافقون فذكر الموت عندهم هو شيء ساذج مجرد لأنهم لا يجتهدون خائفين من الأمور التى بعد الموت بل ينتحبون على فقدهم الملذات ومفارقتها.. إذ يكملوا القول «نأكل ونشرب فإننا غداً نموت» ولا يهتموا بما ينفعهم بل يجمعوا بأيديهم ما لا ثمر له... والذين يحبون الثروة الأرضية فكافة عمرهم مشغول بالرجاء الباطل، ويقدر ما يتسامى فى الغنى بقدر ما تنمو لديه مخافة الموت كثيراً.. ليس من أجل جهنم وحكم الله العادل لكنهم يتحIRON فى أنفسهم نائمين على ثروتهم قائلين ترى من يرث بعدنا، ومن يكون صديقاً للملوك ومن يرث

(١٠) مترجم عن :

المملكة بعدهم؟..

ترى من يملك هذا الذهب والفضة؟ ترى من يستخدم هذه الآلة الذهبية؟ ترى من يرث الحلال المذهبة؟ من يركب الخيل المنتخبة المذهبة لجمها؟ ومن يتقدم كثرة الغلمان؟.. من يسكن في المجالس التي وشيتها أنا باهتمام الرخام والتي زخرفت أرضها بالفصوص المذهبة وسقفها بالذهب؟.. ترى من يخدم أصحاب الموائد والسقاة؟ ترى لمن تمثل الخدم الذين يخدمون من يضجع على الأسرة المفضضة، ويستعملون الأطعمة التي أطايبها من الهند؟ من يستعمل الغلات الجيدة التي من الحقول والثمار الأولى التي للبساتين؟.. من يصير خلفاً يتولى خزائن السلاح.. والمركبات والخيول؟

وإذا شدت أفكاره إلى جهات أخرى كثيرة ولا يجد من يلجأ إليه يتنهد ثم يعود أيضاً للاهتمام بالأرضيات غير مهتم أن يكثر لنفسه في السموات شيئاً!...

فإذا نال نهاية مآثوراته من توفر الغلات والبهائم وبهاء مرتبته، وشهامته في الحروب... فحينئذ ذكر الموت يزعج قلبه فإن ضعفت أعضاؤه بالشيخوخة ولم يستطع أن يخدم اللذات حينئذ يحقد على الحياة، وإن كان جافياً متصلاً ببعده ذكر الموت بإفراط الرفاهية. إنه يضاهى المريض الذى يتظاهر بالصحة، ويأكل الأغذية التي تضاد المرض ويظن أنه بها يزيل المرض.. لكن المرض قد شاع في أعضائه.. وإذا فرح بمعاينة الجمال فليفكر في إنتظار النوح وأن هذا الجمال يزول ويصير عوض هذا الحسن الظاهر الآن عظام مرفوضة منتنة..

المتوانون والمتهاونون تنقضى أيامهم في ظلمة الخطية ظانين أن ساعة الموت بعيدة عنهم فيمائلون الذين يمشون في ظلمة الليل إذ يظنون أن الموضع الذى يطالبونه بعيداً عنهم..

« والذى قد تأمل بعين نفسه الصافية طغيان هذا العالم وصار على سمو من تلك الأشياء التي ها هنا فإنه يتفطن دائماً إن أكل، وإن شرب، إن رقد، وإن عمل... تستأنفه الطبيعة كل يوم وكل ساعة إلى نهاية العمر الوقتى فذلك يعرض عن الأشياء كلها كأنها مثل كناسة تلقى في سلة المهملات فيحرص أن يبعد ذاته عن كل مرثاة العالم والتألم له.. فمن يعقل المعقولات العلوية والمتسامى سعيه إلى الله فذلك على

سمو منها . ساعياً بكافة قوته وراء الفضيلة لأنه ليس أكرم منها قدراً إذ تجعل الناس أحياء الله فكافة الذهب في عينها تحقره كالرمل ، والفضة قدامها تحسبه كالطين ، لا يضمورها الشقاء ، ولا يكمد نورها الموت المرهوب عند كثيرين فالذين قوموا الفضيلة بدالة يهتفون مع القائل « لى اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً » . (١٢)

إذا تركنا أعمال الأمم فلا نعود إلى الأشياء التي وراء (١٣) أى التي قد مضت ونعملها أيضاً ، قد جحدت الشيطان وملائكته دفعه ووقفت أمام المسيح بحضوره شهود كثيرين . فانظر أمام من وقفت وتعهدت ولا تستهن به واعلم هذا أنه في تلك الساعة كتبت ملائكة أقوالك وتعهداتك وخضوعك وخبأوها في السموات إلى يوم الدينونة الرهيب . في ذلك اليوم يحضر الملائكة كتاب الوثيقة التي عليك وكلمات فمك يوم المقام المرهوب حيث يقف الملائكة مرتعدين وحينئذ تسمع الصوت المعطى الويل أيها العبد الخبيث من فمك أدينك « بالحقيقة إنك تنتهد حينئذ تنهداً مريراً وتبكي في تلك الساعة ولا ينفعك شيء (١٤) .

ارحم نفسك ولا تبغض ذاتك افتح عينك وأبصر كيف أن قوماً كثيرين يجاهدون ، كيف يحرصون أن يخلصوا ، كيف يتعبون ذواتهم في كل عمل صالح ، كيف قد أعدوا مصاييحهم بهية ، كيف يسبح فمهم كل حين ، وعيونهم متأملة جماله ونفوسهم مبتهجة .

الويل منك أيها الموت فإنك أنت الغريم الذى لا يقضى ، والمستقر الذى لا يرد ، والسارق الذى لا يستحى ، والمتسلط الذى لا يخاف والرسول الذى لا يتأخر . ما أمر كأسك ، وما أفزع لقائك ، وما أرهب رؤيتك ، وما أشد هيبة منظرك ، وما أثقل

(١٢) (فيليبي ١ : ٢٣) .

(١٣) عن المخطوطة ٣١٨ ميامر ، وكتاب دموع التوبة للقديس مارأفرام السريانى - يوسف حبيب ص ٢٣ ، ٢٤ .

(١٤) يقول ذهبى الفم « مهما كانت خطايانا يمكن غسلها بالتوبة أما عندما نرحل فلا تنفعنا أعرق توبة » عن الحب الرعوى للقس تادرس يعقوب ص ٣٤٥ .

قدموك ، وما أكره شبهك ، وما أشد ساعة مجيئك حول الإنسان ، الويل لمن لا يستعد قبل نزولك به ، والويل لمن يغفل ويتوانى حتى تأتى ساعتك .

طوبى لمن يجهد نفسه في صلواته قدام الله من قبل حضورك إليه (١٥) .. طوبى لمن حرص في شفاء سقمه وممرضه مادام هو في الدنيا ، الموت يا أخوة أفضل من حياة الدنيا في الخطايا والذنوب ..

كيف ندفن الموت ولا يرعبنا الموت ؟ إن ذلك لقساوة قلوبنا وترك وصاياها ، ثم أننا ننسى ونتهاون بذلك ولا نبالي ، فالآن يا أخوتي ينبغي أن ننظر الموت .

ونقول : أين من كان بالأمس معنا وها اليوم آخرون يحملونه إلى القبر؟!

أين الملك الذى صار صنماً لا يبصر ولا يسمع ولا يقدر أن يدفع جواباً عن نفسه ؟
أين الذين كانوا في النعيم واللذة وصار نعيمهم إلى لا شيء ؟ .

أين الجميل الوجه الذى صار منظره بشعاً لمن يراه ؟ .

أين القوى والذى كان قد ظفر وغلب ؟

أين الصورة الحسنة التى قد فسدت وتلك الأعضاء التى تعظمت ؟ .

أين الرأى الملتبس والكلام الذى قد بطل وذلك الجسد المنحل ؟ حيث لا فرق بين عظام الملوك وعظام الفقراء ! .

فالآن يا أخوة لنهتّم بأمر الموت ونترك عنا كل شر ونعمل الصلاح والخير دائماً ... ونحرص أن نكون في طاعة الله ، وحفظ وصاياها ، وفعل محبته ، وتذكر الموت ، وننظر إلى الميت فنجد فمه مغلقاً ولسانه معتقلاً . فلنتضرع قبل أن ينزل بنا فجأة يا أخوة لا بد من شرب كأس الموت المر ولذا ينبغي لنا أن نكون مهيبين لتلك الساعة الشديدة ونبعد عنا الضحك والهزء والمزاح والإعجاب والصلف والعظمة ، ونحرص في إقتناء الاتضاع والزهد ونخاف ونقول : أين الذى نصب نصبه (غرسة) ومنه لم يأكل ؟!

(١٥) عن المخطوطة «١٨١» نسكيات - دير السريان - بتصرف .

أين الذى أسس وبنى وفي منزله لم يثبت ؟ .

أين الذى ربط بيديه ولم يحل ما ربط ؟! .

أين الذى عمل وربح ومنه لم ينتفع لأبديته وصار ما له لأخوته ؟!

أين الذى كان يحرص ويجهد ويحتمل وصار منه غريباً ؟ فالموت كان يطرق بابه ؟

أين الذى أهلكه التعب والحرص فصار كده وسعيه لغيره ؟

أين الذى كان يدخل ويخرج فإنه خرج ولم يدخل ؟ ؛

أين الذى كان يشيع آخرين فصار مشيعوه ينصرفون عنه وهو ليس معهم ؟!

أبوك الذى ولدك يدعوك إلى القبر وينصرف عنك ، وأمك التى ولدتك وربتك وكانت تحبك تجعلك فى القبر وتنصرف عنك ! وكذلك أخوتك وأصدقائك الذين كانوا عندك كنفسك فإنهم إلى القبر يصحبونك ويحزنوا ، فإذا غلق القبر أنصرفوا ونسوا صحبتك القديمة التى كانوا عليها كقول داود النبى « نسيت من القلب كالميت »
فلذلك يا أخوتى ينبغى أن نتنبه ونخشى الرب ونحرص لطاعته ورضاه فإن كل شئ يذهب ويبطل والرب دائم إلى الأبد ، ينبغى أن نتفكر الموت .. ونشكر الرب الذى أمات الموت .

ينبغى أن نتنبه فى أمر الموت : فمن كان سيداً على ما يملك ويحكم فيه كيفما شاء صار مرفوضاً كحيوان ميت ، وقد صار هذا الإنسان غريباً عن جميع ما يملك وصار كده وسعيه إلى غيره من ذوى جنسه ، وصار غريباً عن أهله وأحبائه ، وليس لأهل الميت يا أخوة إلا أن يسرعوا بإخراجه من منزله فى حزن حتى يدخلوه القبر ثم يدعوه وحده وينصرفوا وهو نفس مصير غيره عند نزول الموت .

فأين الذى تعب ولم يبق حتى ينظر إلى نتيجة تعبته ؟ ماذا انتفع حيث تركه لغيره وانصرف عرباناً ؟!

فتفكروا فى الذين قبرتموهم وأحذروا مما نزل بهم قبل نزوله بكم .

الروح القدس (١٦) يوضح للإنسان ما هو الطريق الصالح وما هو الطريق غير الصالح .. حتى إذا ما عرف الإنسان مجازاة كل منهما يهرب من الشر فإن كان يعرف ولا يهرب فأى عذر له في يوم الدينونة؟

لقد تذكرت تلك الساعة الرهيبة وأرتعدت ، وتأملت تلك الدينونة (١٧) المفزعة فانذهلت للسرور الذى فى الفردوس فبكيت وتنهدت حتى لم يبق فى قوة لأبكى لأن أيامى قد عبرت فى التوانى والتنزه، وفى الأفكار الدنسة أكملت سننى حياتى .. كيف سرقت ولم أعلم وكيف عبرت ولم أحس . أيامى ففيت ومآئى تكاثرت . ويلي ويلي يا أحبائى ماذا أصنع لخرى تلك الساعة إذا التف حوى الذين يطوبونى وأنا من داخل مملوء إثمأ ونجاسة متناسياً الرب الفاحص القلوب والكلى ...

أيها الصالح .. ترآف علىّ .. أعطنى بكاء وتخشعاً دائماً ، ولقلبى تواضعاً وطهرأ ليصير هيكلأ لنعمتك المقدسة .

يا أخوتى الأحباء أتضرع إليكم أن تحرصوا على إرضاء الله . ابكوا قدامه نهارأ وليلاً فى صلواتكم وتسايحكم لينقذكم من ذلك البكاء الذى لا ينقضى ومن صرير الأسنان ومن نار جهنم ومن الدود الذى لا ينام ، ويفرحكم فى ملكوته بالحياة حيث يهرب الوجع والحزن والتنهذ، وحيث لا يحتاج أحداً دموعاً ولا توبة، وحيث لا رعدة ولا خوف، وحيث لا يوجد المحارب والمعاند، حيث لا خصام ولا سخط .. لكن الفرح والسرور الدائم والمائدة الروحانية التى أعدها الله للذين يحبونه . فمغبوط بالحقيقة من يؤهل لها وشقى من يتركها .

أطلب إليكم يا أحبائى أن تصلوا لأجلى .. ليصنع معى رحمة .. انفضوا لى من فتات مواتكم فىتم القول « الكلاب أيضاً تشبع من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها » . (١٨)

(١٦) عن ميمر ٤٢ المخطوطة ٢٠٠ ميامر قول «٥٠» .

(١٧) ميمر ١٠ عن المخطوطة ٢٠٠ ميامر - دير السريان العامر .

(١٨) (مت ١٥ : ٢٧) .

فلنحرص يا أختوى لأجل حياتنا فإن الأشياء كلها تعبر كالظل ، ولنبغض العالم وكل الاهتمام البشرى .. « إذ ماذا ينتفع الإنسان لوربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى فداء عن نفسه » (١٩)

أيها الحبيب ، تأمل في كل صباح ومساء كيف تتجر ، وفي كل عشية أدخل إلى قلبك ، وتفكر في ذاتك قائلاً أترانى أغضبت الله في شيء ؟ أترانى تكلمت كلمة بطالة ؟ أترانى أغضت أخى ؟ أترانى تخيل ذهني أمور العالم وشهواته وقبلتها بتلذذ . (٢٠)

تهند وابك وفي الصباح ادرس الوصية ، وقل كيف أمضيت هذه الليلة ؟ هل ربحت تجارتي ؟ هل دمعت عيناي دموعاً حين أحنيت ركبتي أم جاءت إلى أفكار خبيثة ؟

« أحرص أن تدفع ذاتك إلى التواني .. أنظر إلى النحلة » وأبصر سرها العجيب كيف تجمع رحيقها من الأزهار على اختلاف أنواعها ، فإن اجتمع كافة حكماء الأرض لما استطاعوا أن يصنعوا حكمتها إذ كيف تدفن أولادها في خلاياها وحين يخرجون يستمعون كلهم إلى صوتها ويطايرون كما يأمر الرئيس قواده وتلأ مكانها من أطعمتها الحلوة (عسل النحل) فأية حكمة وهبت لتلك الحشرة الصغيرة ... فأبصر أنت يا حبيبي مثل تلك وأجمع لنفسك من الكتب الإلهية غنى وكنزاً لا يسلب .. وكما يرسل الرئيس غلمانه قدامه إلى البلد التي يسافر إليها هكذا أرسل أنت غناك إلى السماء لتقبل في مساكن القديسين ولا تتوان في هذا الزمان القصير...

الوجه المغسول بالدموع مع قلب نقى له ذلك الجمال الذي يلمع أكثر من الشمس بين يدي الله والقديسين !

(١٩) (مت ١٦ : ٢٦) .

(٢٠) تأمل : الذي كان يظاً الأرض بقدميه قد وطأته الأرض ووطوته تحتها والذي كنت تخشاه ... قد نزل حفرة ضيقة وانهاالت عليه الأتربة وتغطى بالرمال ! (عن كتاب سر التقوى للأستاذة حبيب جرجس ص ٣٩٩) .

أحرص أن تقتنى الفضيلة التامة الموشاة بكافة المناقب التي يحبها الله ولا تعمل بقريبك سوءاً... إن كافة الفضائل مثل تاج الملك ويصير غير تام إن كان ينقص إحداها.. «الفضيلة إذا ربطت بأحد الأمور الأرضية تموت» وتنقسم وتهلك ولن يمكنها الإرتقاء إلى أعلى إذ سمرت بأمر أرضي، فلتنتهد وتبك عليها إذ بعد أن ارتفعت إلى السماء وبلغت باب الملك بنفسها لم تستطع أن تدخل. مثل أناس قوموا الفضيلة بربوات أتعاب ووشوها مثل تاج الملك فلما أرتبطوا بأمر أرضي وقفوا خارج الملك السماوي. فاحذر لثلا تدفع ذاتك للعدو وتنقض الفضيلة التي أقتنيتها بأتعاب جزيلة... فحرك ذاتك وانهض وأقطع تلك الشعرة الحقيمة لثلا يستهزأ بك مثل شمشون الجبار... أصغ إلى ذاتك وكن مثل غواص يغوص في العمق ليجد الدرّة الثمينة.. فإذا وجدها يصعد بها إلى أعلى المياه وهو عار، هكذا أنت جرد ذاتك من جميع أدناس العالم وألبس هذه الفضيلة وترزين بها وتيقظ ليلاً ونهاراً (٢١).. إذ مثل تلك النفس لا يكون لها محبة لشيء آخر غيرها. وهكذا تنمو أكثر وتكلم وتنجح لدى الله دائماً بل ويتباهى جهاها وإذا خرجت من الجسد يبتهج بها الملائكة ويدخلونها إلى أبي الأنوار إله المجد المتعطف وحده!..

لماذا لا نستعد ولدينا وقت (٢٢) ؟ لماذا تتهاونون بالكتب المقدسة وبكلمات المسيح أو تظنون أن أقواله وأقوال قديسيه لا تديننا في ذلك اليوم إن لم نحفظها ونعمل بها.. قد سمعتم، قول الرب للتلاميذ الذي يسمع منكم يسمع مني ومن يخالفكم يخالفني. وفي موضع آخر يقول من يخالفني ولا يسمع أقوالى أنا لا أدينه لكن له من يدينه. القول الذي قلته ذاك يدينه في اليوم الأخير...

طوبى للذين عطشوا وجاعوا فإنهم هناك سيشبعون وويل للشباعى فإنهم هناك يجوعون ويعطشون، طوبى لمن افتقروا وبكوا فإنهم هناك يتعززون وويل للذين يضحكون الآن فإنهم هناك سينوحون ويكون بلا فتور، طوبى للذين رحمو فإنهم هناك

(٢١) إن الرب قد أخفى عنا اليوم الأخير لكي نستعد للموت في أيامنا كلها (عن كتاب الاستعداد).

(٢٢) بستان الروح ج ١ ص ٥٠ للقس شنودة السرياني (مثلث الرحمت الأسقف المتبحر نياقة الأنبا يوانس).

سيرحون وويل لمن لا رحمة لهم ...

أسأل نفسي أين سيكون مسكني عندك يارب (٢٣) الدهور؟ في ذلك الدهر العتيد بعد كمال عمري وإنتهاء حياتي أسيكون حظري بين المتوجعين في قاع الجحيم؟ أم أكون بين المترفين بالسرور على أسوار أورشليم؟ أسيكون مقامي في الظلمة أم في النور؟ أفي الشدة أم في بهجة النعيم؟.

ضع فكرة الموت (٢٤) نصب عينيك دوماً وكلما شيعت ميتاً تذكر أنك ستشيع يوماً، فابك إذن واندب نفسك، وأطلب الرحمة من ربك، مثلما تتساقط الأوراق من الأشجار هكذا يتساقط البشر من الحياة، فكلمنا هبت ريح الموت ولست واثقاً من إفلاتك، فاربح نفسك بالتوبة لتحيا حياة أبدية. إلى متى تهمل نفسك مالى أراك ممعناً في الخطيئة وكأنى بك لن تموت؟!!

تقول وما يضير إن أخطأت في صباى؟ ترى ما حياتك إن خطفتك يد المنون خلسة؟ إنك تأمل أن تتوب في شيخوختك فهل أنت واثق من بلوغها؟!!

وقال: مررت ذات يوم بباب القبر متأملاً: فرأيت العالم في حقيقته: رأيت العبد وسيده، والتلميذ ومعلمه سواسية. أجل رأيت الملوك راقدين وقد نزع منهم سلطانهم!

(٢٣) عن كتاب السبع طلبات - دير السريان « ص ١٣٠ » .

(٢٤) عن كتاب أعجوبة الزمان أو نبى السريان - لماراغناطيوس يعقوب الثالث بطريك أنطاكية وسائر المشرق - ١٩٧٤م .

صلاة للقديس (٢٥)

أرث أرث أيها المتحنن المسيح المخلص للإبن الوحيد لعبدك البطل لثلا أكون هناك قدام منبرك واقفاً بخزي عظيم ، وعار للملائكة والناس ، لكن أدبني ههنا يا مخلصي كما يليق بالآب المتحنن والمحب لابنه .. وأغفر لي هناك بما أنك أنت الإله الذي بلا خطية وحدك !.

أيها المخلص إن لم تنظر إليّ أنا الشقي ههنا وتعطيني إستنارة قلب فأتوب في كل وقت بلا خجل عن خطاياي فماذا أصنع هناك إذ لا عذر لي ! لقد جُبلت من بطن أمي بخطيتي ، ووُلدت أنا الغير مستحق رحمتك وأهلت أن أصير إناء لنعمتك ومرغماً جليلاً يرزم دائماً كلمات الخلاص لكافة المستمعين ... لكن أنارت عقل نغمات ترنيمك أيها المسيح .. فمن أجل هذا أجثو أيضاً ساجداً لنعمتك أيها الإبن الوحيد مخلصي وكما صارت في نعمتك أنا الغير مستحق هكذا أعطني إستنارة ونصراً دائماً وفرحاً لكى تسترنى هناك تحت أجنحتها من تلك الدينونة المخوفة ، وأقف عن يمينك مترغماً برحمتك ، ومسبحاً وممجداً طول أناتك أيها البارى إذ لم تعرض عن عبرات الخطاة .

لك السبح والمجد الدائم إلى الأبد آمين .

الفصل الرابع :

النخساع والدموع

« صارت لى دموعى خبزاً نهاراً وليلاً »

(منز ٤٢ : ٣)

إن الشمس قد بلغت ساعة المساء ومن أجلك تتوقف إلى أن تبلغ (١) المنزل!.
فإلى متى تحتمل العدو وتكمل مشيئته فإنه يتمنى ويحرص أن يأتي بك إلى النار.

إنه دائماً يحارب الناس جميعاً بالشهوات الردية النجسة.. «ويمنح الذين يذعنون له اليأس، وقساوة القلب وجفاف الدموع لئلا يتخضع ذلك الخاطيء تخشعاً تاماً» فأهرب منه أيها الإنسان، وأرفض مشوراته اهرب من ذلك الغاش إنه قاتل الإنسان منذ البدء وإلى المنتهى.

اسمع أيها الحبيب الصوت القاتل كل وقت «تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيل الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم (٢)»

إنه يعطى الراحة والحياة فلم تتوانى أيها الإنسان؟! ولم تجوز يوماً فيوماً. تقدم ولا تجزع فإن السيد صالح ومتحنن!... يشفى الجراحات ويهب الحياة دون حسد لأنه إله صالح يقبل بسهولة كافة الذين يخرون له ساجدين إذ هو الإله الأعظم الذى بسابق علمه يعرف سائر أفكارنا!. وإذا تقدم إليه الإنسان يبرأ لأنه يعاين قلبه وكافة أعماله...

إنه إله صالح قبل أن يهمل الدموع يسكب كنوزه، وقبل أن تتضرع إليه يصالحك، وقبل أن تبتهل إليه تنال الرحمة.. لأن محبة الله هكذا تشتاق إلى كل من يقبل إليه. إنه لا يبغى عن الاستماع ولا يطالبك بالزمان الذى قد مضى إنما يطلب من يخضع له فى تواضع بدموع وتنهّد إذ يغفر تماماً كافة الإثم والخطية بل وكل الهفوات، ويأمر فى الحال بإحضار الحلة الأولى ويجعل خاتماً فى يده اليمنى ويأمر الملائكة أن تسرع معه برجوع هذا الخاطيء (٣).

فإذ لا نزال فى ذلك العالم نستطيع فى كل وقت أن نستعطف السيد وسهل علينا أن نبغى الغفران ولنا أن نقرع باب تحننه فلنسكب العبرات مادام لنا وقت تقبل فيه

(٢) (مت ١١ : ٢٨ - ٢٩).

(٣) (لو ١٥ : ٢٢ - ٢٤).

الدموع قبل أن ننصرف إلى ذلك الدهر الآتى حيث لا يقبل البكاء إذ لا تحسب
الدموع هناك بقدر ما تكون الآن بمشيئتنا!

من يؤمن بآبى الله تكون له حياة دائمة (٤).. إذ قال «من آمن بى كما قال
الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى» (٥).

الخطب الكثير ينمى اللهب ومخافة الله تكثر المعرفة فى قلب الإنسان والعمل يحقق
العلم، استيقظ إذا كنت تزرع بذار سيدك لثلا يختلط به الزوان.. ولتطلب من الرب
أن يعطينا معرفة وفهماً لتتقظ فى كل شىء.

الكور يختبر الفضة والذهب وينقيهما، وتقوى الرب تهذب الأفكار وتنقيها، مثل
الصائغ الجالس إلى السندياد فهو يعمل أوانى حسنة ونافعة كذلك مخافة الرب تجرد كل
فكر خبيث من القلب وتنظفه وتبرز أفاضاً بمعرفة فلنعط مجداً لمن منحنا مخافته فى
قلوبنا «بدء الحكمة تقوى الرب» والفهم الصالح لكل من يعمل بها.. «الحكيم
يحفظ وصايا المسيح» ومن يسلك فيها لا يجرى إلى الأبد ومن يملها فذلك جاهل
ورجاؤه باطل، «من يحفظها جيداً فقد انتقل من الموت إلى الحياة» وما يعاين ظلاماً
للأبد وفى يوم وفاته يجد دالة ونعمة وملائكة ترشده... وأساسه على الصخرة التى لا
تترزعزع ويصير وارثاً للحياة الخالدة مثل هذا مغبوط لأنه عرف أن يصنع مشيئة خالقه.

« إذا ضرب البوق يستعد الجيش للحرب لكن فى أوان الجهاد ليس الكل
محاربين» لا تقل عن ذاتك إنك..، وبلا عيب قدام الله فالأشياء التى نسيتهما هى
ظاهرة قدام الله وليس المكان يجعل الإنسان تاماً بل الإفراز!..

« مخافة الرب » ينبوع حياة ، « مخافة الرب » تنقى العقل ، « مخافة الرب »
صيانة للنفس ، « مخافة الرب » تعطى المتقى الرب نعمة فى كل تصرفاته ، « مخافة
الرب » مديرة للنفس ، خشية الرب تضىء النفس وتبعد كل ما هو خبيث ، « مخافة
الرب » تبعد الآلام وتنمى المحبة ، « مخافة الرب » تقطع كل شهوة ردية .

(٤) عن ميمر «٦» ، ومجلة الكرامة للأستاذ حبيب جرجس السنة الثانية عشر ص ١٧٨ .

(٥) (يو ٧ : ٣٨) .

خشية الرب مأدبة للنفس إذ تبشرها بآمال صالحة، «مخافة الرب» تتقلد طرق السلام خشية الرب تملأ النفس من الروح القدس .

« ليس في الناس أعظم قدراً من المتقى الرب » إنه مثل نور يرشد الكثيرين إلى الخلاص، يشابه مدينة حصينة فوق جبل، مغبوبة تلك النفس التي تخشى الرب لأنها تتقدم فتبصر أمامها القاضى العادل كل حين! ..

إن أخطأ أحد إلى الله وتراخى ... فليبك (٦) باشتياق ولينتحب بلا تغويت مادام يوجد له زماناً على الأرض .. فيجلب بالدموع سروراً إلى قلبه وليحم جسمه بالدموع والزفرات ...

أتراكم يا أخوتى لكم خبرة بالدموع ؟. هل أضاء أحدكم بنعمة الدموع التى من أجل الله . تيقنوا يا أخوتى « أنه ليس على الأرض أكثر حلاوة من الفرح والتخضع فى تلك الساعة إذا صلى الإنسان وجلس الإله فى قلبه دائماً! .» وأختبر هذا حين صلى بارتياح وشوق فارتفع من الأرض وصار بجملته خارج الجسد بل خارج هذا الدهر كله إذ يتاجى الإلهى نفسه ، ويستضىء بالمسيح ، ويتقدس دائماً بالروح القدس عجباً يا أخوتى أن يخاطب إنسان ترابى دائماً فى صلاته الإله الذى لا يرى! . التخضع يا أخوتى يفيد فى إغتفار الخطايا ، ويستجذب الروح القدس ، بالتخضع يا أخوتى يسكن فينا الإبن الوحيد إذا أقبلنا إليه وإنى خائف يا أخوتى أن أصف لكم إقتدار الدموع! .

حنة النبية بالدموع أخذت من الله صموئيل النبى وكان فخرأ لقلبها ، المرأة الخاطئة فى منزل سمعان أخذت غفران خطاياها حين بكى وبلت قدميه المقدستين (٧) بدموعها . عظيمة هى قوة الدموع يا أخوتى التى من أجل الله فهى تقدر كثيراً ! تجلو دائماً النفس من الخطايا وتنظفها من الآثام ، العبرات التى من أجل الله تمنح دالة لدى الإله القدوس ، والأفكار الخبيثة ما تقدر قط أن تقترب من النفس الحاوية الله والتى تصلى وتبتهل إليه إذا هدفت النفس إلى الله تبصره دائماً فى صلاتها وتلهج فيه الليل والنهار! .

(٦) عن ميمر «١٧» .

(٧) أنظر (لو ٧ : ٣٦ - ٥٠) .

التخشع هو كنز لا يسلب والنفس الحاوية له تفرح فرحاً لا ينطق به ، ليس تخشع يوماً إنما التخشع الدائم الذى داخل النفس ليلاً ونهاراً .

التخشع فى النفس يا أختى هو كمين صافية تسمى غروسها المثمرة أى الفضائل التى تسمى دائماً بالدموع والزفرات فتثمر ثمراً نضراً صافياً نافعاً أبداً لنفسك .

أسق أيها الأخ غروسك بلا انقطاع مبتهلاً بدموع حتى تنمو وتثمر يوماً فيوماً ، ولا تصر متشبهاً بى أنا المسترخى والخطيء الذى أقول كل يوم ولا أعمل البتة .. ولا تصر متوانياً ومسترخياً باختيارك فلا يكون لك خشوع ولا صلاة نقية ... فإننى فى خوف دائم من الدينونة وليس لى عذر عن جرمتى فأطلب إليكم يا أختى القديسين الخائفين الله والذين يفعلون ما يرضيه أن تصلوا عنى أنا الحقير لتدركنى النعمة بصلواتكم وتخلص نفسى فى تلك الساعة المخوفة التى فيها يحىء المسيح فيكافىء كل واحد نظير أعماله ... له المجد إلى أبد الدهور آمين .

تفهم يا أختى أنه من أجلك (٨) أقبل من السماء الإله القدوس الأعلى ليعليك من الأرض إلى السماء ، مغبوط فى ذلك اليوم الذى حرص هنا كى يوجد مستحقاً لتلك السعادة ، وإذ أنه لا يمكن أن تباع الأدوية السماوية والقدسية لأنه ليس لها ثمن ولكنها بالدموع توهب للكل . ترى من لا يعجب ومن لا يندهل ، من لا يبارك كثرة تحنك أيها المخلص لنفوسنا لأنك ارتضيت أن تأخذ الدموع عوض أشفتك فى لقوتك أيتها الدموع؟! إنك تدخلين إلى السماء مجاهرة كثيرة بلا مانع وتأخذين طلباتك من الإله القدوس! .

الضحك يهدف تطويب (٩) النوح خارجاً ، ينقض بناء الفضائل ، يهزى الروح القدس ، ما ينفع النفس بل يفسد الجسم ، ليس فيه ذكر الموت ولا تفكر العذاب . الضحك والدالة مثل ريح السموم تفسد ثمار الراهب .. ومجدرانه إلى أسفل .. فأعطنى يارب النوح والبكاء إذ بدون النوح لن يعرف الإنسان ذاته وليكن لنا النوح الذى لأجلك وليس لأجل الناس ، لنكن مبتهجين بالروح القدس ومواهب الرب نؤمن

(٨) بستان الرهبان « ص ٢٨٢ » .

(٩) عن ميمر « ٢٠ » .

بعقولنا ضارعين إلى الله دائماً لكي لا نعدم ملك السموات والخيرات التي أعدها للذين يحبونه .

النوح يبنى ويحفظ النفس ويجعلها نقية طاهرة ، النوح يولد العفة ، يقطع الشهوات يقوم الفضائل ، النوح يطوب من الرب لذا قال أحد التلاميذ ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غم ، اتضعوا قدام الرب فيرفعكم (١٠) .

ماذا أصنع أنا الخاطيء إذ لم أنح ولم أبك على نفسي بتخضع ، أتكلم وما أعمل ، ويلى كيف أتهاون ويلى كيف أتوان فى خلاصى ؟ ويلى لأننى بمعرفة أخطيء ويلى أننى بلا عذر، ويلى فإننى بأقوالى يحسبنى البعض من ذوى اليمين ، وبأفعالى قد وقعت فى اليسار...

لكن لك وحدك أيها الصالح أعترف بخطيئى إذ تعرف كل الأشياء وأنا صامت فليس شيئاً مكتوماً تجاهك . يارب قد أخطأت إليك ولست أهلاً أن أتفرس وأبصر علو السماء من قبل كثرة ظلامى ، إننى من أجل لذة يسيرة استهنت بالنار أنا أشقى كل الناس .

ليتنى أبكى (١١) على ذاتى إذ يوجد لى وقت أيضاً تقبل فيه الدموع ! فياربى لى دموع فأبكى ليلاً ونهاراً .. أتوسل إليك أن تطهر وسخ قلبى . ويلى ماذا أصنع عند الظلمة القسوى حيث البكاء وصرير الأسنان ، ويلى ماذا أعمل نحو الزمهرير والعذاب الذى لا ينقضى ، والدود النفاث بالسّم الذى لا ينام ، ويلى يا نفسى قد أخطأت فتوبى لأن أيامك تعبر كالظل فبعد قليل تنصرفين من ههنا ! ويلى يا نفسى إذ بأفعالك الدنسة قد أحزنت الملائكة القديسين الذى يحفظونك . فلا تمنح نفسك راحة ولا أجفانك نعاساً ليعطيك الإله المتعطف معونة .. يا أختوى بعد وقت قصير لا بد أن نعبر إلى أماكن محيقة ، وليس أحد من ههنا يرافقنا . لا والدين ولا أخوة ، ولا أصدقاء .

(١٠) (يع ٤ : ٩ - ١٠) .

(١١) « الآن يقول الرب أرجعوا إلى بكل قلوبكم وبالصوم وبالبكاء والنوح » (يؤ ٢ : ١٢) .

فلا تتوانى فى الأعمال الصالحة التى سنجدها فى وقتها ، ولنستيقظ فى هذا الدهر
قبل أن تقبض علينا قوات الظلمة بعد الفراق أولئك الذين لا يرهبون ملكاً ، ولا
يكرمون أميراً ، ولا يبجلون صغيراً أو كبيراً سوى الذى بالأعمال الصالحة يولون منه
منهزمين ...

إن نفوس الصديقين بيد الرب ولن تمسهم آلام ، ومجد الله مجللهم . حينئذ يصرخون
فيستجيب لهم الرب ... فلا نتوانى يا أختى الأحباء فإذا حانت ساعة الفراق تذبذب
تلك اللذات ، ويهلك التنعم ، ويبيد الغنى وحب الرئاسة جميعها تنحل وتزول ...

مجارى المياه لوقت الحريق ، ومجارى الدموع (١٢) فى زمن التجربة الماء يخدم لهيب
النار والدموع تطفىء شهوة الشر!

مغبوط هو المتقى الرب ، مغبوط هو الإنسان الذى فى داخله مخافة الله إنه يطوب
من قبل الروح القدس جهاراً ...

حقاً إن المتقى الرب سيكون خارج كل حيل العدو.. يغلب بسهولة كافة مكائده
الرديئة إذ لا يستأسره بشيء لأنه من أجل التقوى لا يقبل لذة الشهوة ، لا يتنزّه هنا
وهنا لأنه ينتظر سيده لثلا يأتى بغتة فيجده متوانياً فيشقه نصفين (١٣) فالمتقى الرب
مستيقظ دائماً ، ولا يعطى ذاته نوماً إلا بمقدار لأنه يسهر فى مجيء الرب المخوف وما
يضجع لأنه فى كل وقت يهتم بقنيته الروحية ، يحرص لثلا يغيظ سيده ، وكل حين
يختبر الأعمال المرضية للرب حتى إذا جاز به يمدحه بأنواع كثيرة ، الذين يقتنون تقوى
الله تصير لهم سبباً لخيرات جزيلة (١٤) . من ليست عنده مخافة الله سيكون سريع
الانصياد لمكائد العدو ، ويصير محزناً للذات ... يتباهى باللذات ويسر بالراحات
ويهرب من الشقاء يرفض التواضع ويصافح الكبرياء ، فيجىء الرب ويرسله إلى
الظلمة الأبدية .

(١٢) حياة الصلاة الأرثوذكسية - لدير السريان « ص ٤٨٢ » .

(١٣) (لو ١٢ : ٣٢ - ٤٨) .

(١٤) عن ميمر «٤٦» قول ٢ ، ٣ .

تبصرت (١٥) كل شيء فلم أجد ما هو أفضل من خشية الله فطوبى لمن أحبها :
 فقد أحبها يوسف البار فعقد له التاج على مصر . وأحبها موسى العظيم ففلق البحر
 بعصاه . وتعشقها أطفال حنانيا فأنقذتهم من النار إنها لأشهى من الذهب وأحلى من
 الشهد لقد أوغلت في طلب المال فإذا به يبقى في الدنيا ، وتعشقت الجمال فإذا به يفنى
 في الهاوية ، وتلمست الأخوة والأحباء فلم يجدوني نفعاً فيها إني أساق إلى الدينونة
 حيث لا يخلص الأخ أخاه . فيا ربى نجنى من جهنم فإن مجرد ذكره يزعجنى .

إن الدموع ثلاثة أنواع (١٦) :

- ١ - دموع من الأمور الظاهرة وهذه مرة جداً وباطلة .
 - ٢ - دموع التوبة إذ تشتاق النفس للحياة الأبدية وهذه نافعة جداً .
 - ٣ - دموع الندم حين لا يوجد وقت للتوبة حيث البكاء وصرير الأسنان ..
- + خاف الله واطرد الشيطان المرید أن يخذلك ويسرق أتعابك ..
- تيقظ في حدائتك فإن توانيت ستوجد عبداً للآلام لأن من غرق في اللجة وإن تيقظ
 فالأمواج تغلبه ..
- + حب التخشع لتنجو من أتعاب كثيرة ، ابك إذا صليت (١٧) لتجد نياحاً عندما
 تمضى ، اهتم بالعمل كحكيم فإن الهزء والضحك لا ينفعانك عند الرحيل ..
- لا تخجل أن تحفظ التخشع بقلب متواضع .. اتق الله بكل قوتك فيقودك للخلاص
 ليكن لك تواضع ودعة فتحل عليك نعمة الرب .
- + اتخذ في عقلك كل وقت خشية الله لأنها مثل سيف ذى حدين يقطع كل شهوة
 شريرة متذكراً اليوم الأخير المخوف ..

(١٥) اللاتى المثورة في الأقوال الماثورة (من الأدب السريانى) لمارأغناطيوس يعقوب
 الثالث .

(١٦) عن ميمر ٢٧ .

(١٧) عن ميمر ٣٢ .

+ الطيور يغلب عليها الخنان ، فكم تغلب نعمة رافاتك والأم لا يحتمل قلبها أن تترك إبنتها يبكي فكم جزيل تعطفك أيها المحب للبشر!
+ إن بكينا هنا سننجو هناك من النار التي لا تطفأ ...
+ يا لاقتدارك أيتها الدموع فإنك تصعدين إلى السماء وتأخذين طلباتك من الإله القدوس .

صلاة للقديس (١٨)

إليك أتضرع أيها المسيح مخلص العالم كله أنظر إليّ وارحمي ونجني من كثرة آثامي فإنني قد جحدت سائر الصالحات التي صنعتها معي منذ حدثتني لأنني كنت عادم الفهم فجعلتني مملوءاً علماً وحكمة وتكاثرت عليّ نعمتك فأشبعت جوعى وأرويت عطشى وأضأت ذهني المظلم وجمعت من الضلال أفكارى!
فالآن أسجد وأتضرع إلى تعطفك الذى لا يوصف معترفاً بضعفى . لا تغضب عليّ أيها الكلى الصلاح ، يا صورة الآب ويا شعاع المجد الذى لا يرى أرحنى من الشهوات فإنها كالنار تلهب كليتى وقلبي فخلصنى منها إذ صنعت فى منزلاً بظهور صلاحك ...
أيها السيد المعطى الحياة وحدك أعطني طلبتى وأحجب آثامى ، ذاكراً عبراتى ...
لتتراف عليّ فى تلك الساعة الرهيبة ولتسترني تحت أجنحة نعمتك . وتعطفك الذى لا ينطق به واجعلنى لذلك اللص اليمين مشاركاً الذى بكلمته صار وارثاً للفردوس ... فأقرب لتعطفك مجدداً لأنك استمعت عبراتى وأيدت أيامى ... نعم يا سيدى الذى بلا خطية وحدك والمتعطف عليّ اسكب عليّ صلاحك الذى لا يوصف ، أعطني ولكافة الذين يحبونك أن نسجد لمجدك فى ملكوتك ، وإذا تمتعنا بجمالك نقول المجد للآب الذى خلقنا ، المجد للابن الذى خلصنا ، المجد للروح القدس الذى جددنا إلى أبد الدهور كلها . آمين .

(١٨) عن ميمر «٥» بتصرف .

الفصل الخامس :

تبيكيت الذات

« اللهم ارحمني أنا الخاطيء » (لو ١٨ : ١٣)

في أحد الأيام نهضت في دجى الليل وذهبت وكان معى اثنان من الأخوة إلى مدينة الرها (١).

رفعت عينى إلى السماء فعاينتها مثل مرآة صافية صقلها تتلأأ مع الكواكب اللامعة.. تعجبت كثيراً وقلت إن تكن هذه البرايا تلمع هكذا بمجد عظيم - فالصديقون والقديسون الذين يتبعون مشيئة الإله القدوس كم أولى بهم أن يشرقوا في تلك الساعة بنور مجد المخلص . وللحين تذكرت مجيء السيد المرهوب فاضطربت عظامى ، وانقطعت عنى قوتى ، وبكيت بوجع قلب ، وقلت بزفرات كيف أوجد أنا الخاطيء في تلك الساعة الرهيبية ، وكيف سأمثل أمام المجلس الرهيب !.

كيف أوجد أنا المنتزه مع الكاملين ، كيف أقف أنا الجدى مع الخراف ؟!

كيف أوجد أنا غير المثمر مع القديسين العاملين ثمار العدل ؟!

القديسون يعرفون بعضهم في المواكب السماوية فماذا أصنع وترى من يعرفنى إذ الصديقون في الخدر السمائى والمنافقون في النار...

الشهداء يرون تعاذيبهم ، والنسك فضائلهم ، فماذا أرى أنا سوى رخاوتى وتهاونى !.

أيتها النفس الخاطئة والكارهة لحياتها دائماً .. إلى متى تجذبك الهوموم على الأرض ، وسوء الأفكار؟ أما علمت أن الأفكار الخبيثة التى لك تصير كسحابة مظلمة قدامك تجزك عن الوقوف أمام الله وفيما تتوقن تباطؤ مجيئه فإنه يجيء عليك كالبرق المفزع ..

أحرصى يا نفسى تلك الساعة المخيفة لثلا تبكى هناك إلى أبد الدهر!

لا تصبغ بتاتاً إلى هفوات الآخرين وانتحبنى على زلاتك ، لا تبصرى قط القذى الذى فى عين الأخ والقريب بل تأملى الخشبة التى فى عينك تأملاً متواتراً ، فانزعى أولاً الخشبة من عينيك ... وإن لم يمكنك فنوحى على عمى بصيرتك ، وكيف تظنين أنك

(١) عن ميمر (١٣) المخطوطة ٢٠٠ ميامر .

تمنحين القريب نوراً ..

صيرى يا نفسى طبيياً لذاتك كل ساعة ثم بعد ذلك تستطيعين شفاء أخيك
السقيم .

ليس لك عذر على توانيك لأن الإله الرحوم قد أعطاك المواهب تمييزاً ، فهماً ،
معرفة روحانية ، فاعرفى من الآن ما يوافقك ...

لقد رآنى الأخوان أبكى فقالوا لماذا تبكى يا أبانا هكذا بكثرة؟! فقلت لهما يا
ولدئى المحبوبين من أجل خطاياى أنوح على ذاتى لأن الإله الصالح أعطانا إستتارة
العلم وأنا أخالف يوماً فيوماً . فمن يكمل مشيئة الرب سيكون مغبوطاً فى تلك الساعة
بل وكل الذين يعملون مسرته .

من أجل هذا يا أختوى ليس لنا هنا معذرة لأننا بمعرفة نخطىء فلنتأمل كلنا تدبير
الله وكافة المواهب التى أعطانا ونعمته التى دائماً تتعهد قلوبنا فإن وجدت راحة لها
تدخل وتسكن النفس كل حين سرمداً ، وإن لم تجده نقياً نظيفاً تبتعد عنه للحين ثم
لرافته يتعهدنا نحن الخطائين الذين ذهننا متقلباً بل ومسترخين الجسد ، مفتكرين
خطاياى البعض بأفكار رديئة فنوجد دائماً كطريحين فى حماة نتنة من الأفكار... فإذا
جاءت النعمة تفتقدنا تجد نتانة تلك الأفكار فى قلوبنا فتتنحى وتبتعد إذ لا تجد مدخلاً
لتسكن فينا ومع هذا لا يمكنها أن تبتعد عنا بالجملة لأن تحننها يضطرها أن ترحم
الكل . أرايت كيف يحبنا الإله القدوس دائماً مريداً خلاصنا؟! فمغبوط ذلك
الإنسان الذى يحرص فى كل وقت أن يكون قلبه نظيفاً للنعمة لكى تجد طيب نسيم
الفضائل وطهارة النفس فتسكن فيه إلى أبد الدهر .

ماذا نقدم للإله المتحنن على كافة خيراته ومواهبه إذ نزل من السموات من حضان
الآب ومن أجلنا متجسداً من البتول ، وأنه من أجلنا لطم مثل عبد . فعن اللطمة
وحدها ماذا نقضيه . إن عشنا نحن على الأرض ألف سنة ما نستطيع أن نقضى لله ما
هو واجب عن نعمته . أنا من هذا أخشى يا ولدئى المحبوبين .

أصغى إلى ذاتك (٢) أيتها النفس المؤثرة لثلا تعبر أيامك في التنزه، لا تقبلي الأفكار الخبيثة لثلا تضعف قوتك في حرب العدو. ليكن في ذهنك دائماً فكر السيد الحلو ليككل سعى نسكك. حاضري جهاد نسكك فقد حان الوقت الذى يككل فيه المجاهدون أما المتوانين فيندمون. أقتن الفضيلة ما دام يوجد لك زمان صدقاً في سمعك، كلمات حياة في لسانك.. وفي قلبك دائماً صورة الرب، في أعضائك تقويم العفة...

الخشبنة تكرم إذا كان فيها صورة ملك مائت فكم بالأكثر تكرم النفس الحاوية الله في هذا الدهر وفي الآتى!..

أصغ أيها الحبيب فالشهوة مائتة أما جسدك فهو حى. فاحذر أن تمنح جسدك الحى ذلك الموت لثلا يقتلك... أحضر إلى ذهنك النار التى لا تطفأ والدود الذى لا يموت ففى الحال تخمد التهاب شهواتك. لثلا تنغلب وتندم. أقتنى صرامه من البداية مقابل كل شهوة ولا تعتاد الهزيمة في الحرب لثلا تبني وتنقض كل وقت تحطىء وتندم وتعتاد التراخى فتكون كل حين حزيناً كثيراً فترى قدام الناظرين بورع لكن من داخل في توبيخ من ضميرك إذ قد ألفتك الشهوة. تحرز من كل نفسك كل وقت ألا تكون خالياً من المسيح لأن المسيح هو للنفس ختن لا يموت! لا تترك ختنك الحقيقى لثلا يتركك أنت وإذ تركك ستحب الغريب الذى هو الفاش (العدو)، وإذا أفنى الإنسان نعمته يوجد ممقوتاً منها.. من لا يبكى إذ العدو قد أفنى قوتنا وزماننا في نجاساته وشهواته الدنسة ولا يجبننا قط أما الله فإنه يجبننا دائماً.

فالمجد للآب والابن والروح القدس إلى أبد الدهور آمين .

يا أخوتى لقد قال الكتاب « اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا (٣) ». فبتوسلاتكم عنى أنجو من الخطايا المصطبغ بها وأصير معافى، وأنهض من سرير الخطايا المفسدة الذى لى منذ طفوليتى، والآن أسمع عن

(٢) عن ميمر (١٢) بتصرف .

(٣) (يع ٥ : ١٦) .

الدينونة وأتهاون بخطاياى (٤) وجرائمى الكثيرة...

أعظ كثيرين أن يتعدوا عن الأشياء التى لا تنفع وأنا تكمل فى مضاعفة . ويلي
أى خزى لى ، ويلي لأن باطنى ليس كظاهرى ، ويلي فإن لم تشرق على رأفات الله
سريعاً فليس لى بأعمالى رجاء واحد للخلاص ...

أتكلم عن الطهارة وأعيش فى الدنس ، أقول عن عدم الألم وأعيش فى النجاسة
ليلاً ونهاراً . فأى عذر لى ؟!

ويلى أى عذاب قد أعد لى .. فأتقدم إلى الرب الإله العارف مكتومات قلبى أنا
المديون بمثل هذه المساوىء ، إنى أجزع أن أقوم للصلاة لثلاث تنحدر على نار من السماء
فتبيدنى لأن الذين قدموا فى البرية ناراً غريبة خرجت من عند الرب فأحرقتهم ... فماذا
يكون لى من عظم ذنوبى ؟!

.. لكنى أثق برأفات الله وتوسلاتكم عنى فلا تفتروا فى التضرع لأجلى لأعتق من
عبودية تلك الآلام فقد غمى قلبى .. وأظلم ذهنى ، وصرت مثل الكلب الذى يعود إلى
قيئه فإنه ليس لى ذهن نقى ، ولا دموع فى صلاتى إن تنهدت جفت دموع وجهى من
الخزى ..

جاهدوا معى يا أخوة فى الصلوات طالبين رأفات الله . ليعطنى أنا العطشان من
ينبوع الحياة ... أنيروا قلبى يا من صرتم أبناء النور أرشدونى أنا الضال إلى الطريق
المؤدى إلى الحياة . أدخلونى إلى باب الملك يا من صرتم للمك وارثين ..

فلتدركنى رأفات الله قبل أن تنكشف أعمال الظلمة جهاراً فأى خزى يكون لى
عندما يقال لى إنى تركت الطريق الروحانية وخضعت للآلام .

لا أريد أن أطيع وأشاء أن أطاع ، لا أريد أن أتعلم وأشاء أن أعلم ، لا أختار أن
أتعب وأريد أن أتعب ، لا أريد أن أعمل وأشاء أن أحض على العمل ، لا أريد أن
أكرم وأشاء أن أكرم ، لا أريد أن أعير وأشاء أن أعير ، لا أريد أن أحتقر وأشاء أن
أتكبر على الآخرين ، لا أختار أن أوبخ وأشاء أن أوبخ ، لا أريد أن أرحم وأطلب أن

(٤) عن ميمر (٢) .

يترحم علىّ، لا أشاء أن أنتهر وأريد أن أنتهر، لا أريد أن أظلم وأشاء أن أظلم الآخرين لا أختار أن أضّر وأشاء أن ألحق الأذى بالآخرين .

ما أشاء أن أسمع وأريد أن يُسمع لى ، لا أشاء أن أجد وأؤثر أن أجد .. حكيماً فى الوعظ لكن لست فى العمل أقول ما يجب وأعمل ما لا ينبغى !..

ابكوا علىّ أيها المحبون النور، ابكوا علىّ أنا الغريق بالآثام أيها المبغضون الشر، والمحبون الخير.. ابكوا علىّ أنا الذى تركت العالم بالزى فقط .. ابكوا علىّ أيها المقتنون المحبة الكاملة . إذ أحب قريبي بالأقوال وأبغضه بالأفعال .. ابكوا علىّ أيها المقتنون الصبر أنا الغير صبور، أيها المشتاقون إلى الآب ابكوا علىّ أنا الفاقد الأدب ، ابكوا علىّ أنا الغير مستحق أن أنفوس وأبصر علو السماء أيها المقتنون وداعة موسى وأنا أضعتها بإرادتى . أيها المقتنون عفة يوسف وأنا طرحتها . أيها المحبون تمسك دانيال وأنا قد عدته ، أيها المقتنون صبر أيوب أنا الغريب عنه . ابكوا علىّ يا من ليس لديكم قنية كالرسل ابكوا علىّ أنا الضعيف النفس والجبان يا من حفظتم هيكل الله بلا دنس وأنا قد دنسته . ابكوا علىّ يا من يتذكرون الموت وأنا غير متذكر هذا السفر إنكم تتصورون الدينونة التى بعد الموت وأنا أتذكر ضدها . ابكوا علىّ أيها الوارثون ملكوت السموات أنا الذى لم تترك فى الخطية عضواً صحيحاً ..

يا أخوتى ها أنا قد كشفت لكم كلوم نفسى فلا تتوانوا لأجلى أنا المتألم لكن أطلبوا من الطبيب لأجلى أنا السقيم . أطلبوا إلى الراعى من أجل الخروف ، وإلى الملك من أجل الأسير، وإلى الحياة من أجلى أنا المائت لأنال الخلاص الذى لربنا يسوع المسيح ويرسل نعمته من أجل زلق نفسى ...

لا أزال أعمى وأروم أن أرشد العميان .. لذا فأنا محتاج إلى صلوات كثيرة حتى أعرف قدرى !. ليضىء قلبى المظلم ، وتسكن فى عوض الجهالة تلك المعرفة الإلهية إذ لا يصعب على الله ذلك فكلما شق لشعبه طريقاً فى البحر، وأمطر عليهم المن وأعطاهم السلوى كرمل البحر ومن صخرة روى عطشهم ... فما يستطيع أحد أن يشفى أوجاع نفسى إلا هو إذ يعرف أعماق قلبى كم مرة بنيت حيطان بينى وبين الخطية لكن هدمت إذ لم تؤسس على التوبة الخالصة ، فلذلك أقرع الآن ليفتح لى .. إننى أطلب من

صلاحك صفحاً عن أعمالي.. يارب جردني عن كل فعل خبيث لكي أجد نعمة أمامك في ساعة الوفاة لأنه ليس في الجحيم من يسبحك..

أطوب حياتكم أيها المحبون المسيح لأنها حسنة هي الدالة وويلي لأن سيرتي عاطلة وغير نافعة (٥). أغبطكم يا خدام المسيح المخلصين لأنكم بسيرتكم المستقيمة جعلتم ذاتكم أحباء الله والملائكة.

من لا ينوح عليّ؟ لأنني أغظت الله بأعمالي الباطلة. مغبوطون أنتم الذين قد ورثتم الفردوس بسيرتكم النقية وبمحبتكم.. إنني متعجب منكم كيف ما عجزتم عن مسير مسافة هذا الطريق من أجل ما يوافق أنفسكم وما هو أعجب من هذا أنكم جئتم إلى واحد حقير ومشجوب بالخطايا طالبين منه كلام منفعة إنني أعجب بالحقيقة كيف جئتم أنتم الشباعي إلى الجائع؟ كيف أقبلتم أنتم أصحاب الندى الروحاني إلى المتعطش؟ كيف أنتم المالكون حلاوة الفضائل جئتم إلى المتمرغ بالخطايا؟ كيف يأتي الأغنياء إلى الفقير؟. كيف يقبل الحكماء إلى الجاهل؟ كيف جاء الأطهار إلى الدنس؟ كيف جاء الأصحاء إلى المريض؟. كيف ورد الذين يرضون الله إلى من يبغضه؟ كيف جاء الأحرار إلى المأسور، كيف أقبل المهتمون بالخلاص إلى المتواني؟.

أنتم بالفضائل أرضيتم الله وأنا بجهلي أدان، أنتم بالأعمال الحسنة وبالطهارة صرتم طيباً للمسيح!. وأنا بشروري صرت بكليتي نتانة كريهة.. أقبلتم إليّ أيها المحبون المسيح مريدين أن تعضدوا رخاوتي وتجعلوا نفسي المتوانية مهتمة وحريرة وتشجعون صغر نفسي لأنكم كاملون في الفضيلة فإذ قد التستم بتواضع أن تقتبسوا مني أنا الناقص كلام منفعة! وأمرتوني بهذا.. فإنني في خزي أتكلم:

فإن بدأت أشير عليكم فإنما أدين نفسي، وإن ابتدأت أوبخ آخرين فإنما أثلب ذاتي لأن المخلص يقول أيها الطبيب اشفي ذاتك وقال أيضاً «كل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون.» (٦)

(٥) عن ميمر «٤٦» .

(٦) (مت ٢٣ : ٣) .

فلذلك إن كنت دنساً لكننى أشير عليكم رأياً مستقيماً . فإذا أطوب كل من فى هذه السيرة الملائكية وازداد فيها إذ من لا يغبط الذى فى تلك السيرة والمتصرف بالطهارة من أجل الخيرات العتيدة التى لا تحصى ومن لا ينوح على التوانى إذ من أجل أمر حقير يلقى خارج ملكوت السموات ولجذب أعمال الخير عنده يخرج عن الخنز السمائى .

كم هى طول أناة الله (٧) .. إنه يُذم ويُثلب فيحتمل بتمهل وما يسخط ، يُستهان به فلا يحقد ، بل يمنحنا بكثرة كل الخيرات ويرحم لأنه يريد أن يوصلنا كلنا إلى التوبة لأنه صانع الخيرات !

ماذا أصنع أنا الخاطيء لأننى تراب ورماد ولا يمكننى أن أحتمل شيئاً بل ولا أشاء أن أحتمل كلمة أذى . لأننى إذ لا أكرم أعتاظ وإذا أكرمت تشاخنت .. ويلي ويلي أنا الخاطيء !..

أيها الابن الوحيد الجنس يا شعاع الآب . الساكن فى النور (٨) الذى لا يُدنى منه والذى لا يُدرك ، المنير بنعمتك كافة المسكونة .. أضىء عقلنا المظلم لأنه مثل غرس جديد يحتاج إلى سقى الماء دائماً .. كلمتك يارب فتحت عيني المولود أعمى ، وحين أبصر بعيني الجسدانية أضىء ذهنه للحين ليشيد بلا خوف عن طبيبه فإنه إله الكل . أضىء أعين قلوبنا فنحبك أيها السيد ونكمل بشوق مشيتك دائماً فهى كأس دمك الرهيب موعبة ناراً وحياة فهبها لنا للاستنارة ولنتقدم لها بإيمان وشوق وقداسة ليصير لنا قمعيناً لخطايانا للإدانة .. إذ يشجب ذاته من لم ينظف نفسه ليقبل الملك فى حجته .

النفس عروس المسيح المقدسة للختن الذى لا يموت ، والعرس هو الأسرار الإلهية فلتكن مشتاقاً أن تقبل الختن السمائى لكيما فى يوم مجيئه يصنع لك منزلاً عند أبيه ويكون مديحك كثيراً أمام رؤساء الملائكة والملائكة والقديسين ...

أيها الأخ ماذا يلتمس الله منك سوى خلاصك؟! ..

(٧) عن ميمر ٤٢ قول ٨٦ .

(٨) عن ميمر «١٧» .

فإن لم تشأ أن تكمل وصاياها فإنك تقتل نفسك وتخرج ذاتك من الخدر السمائي ...
إنه لم يشفق على ابنه الوحيد الذى بلا خطية وحده، وأنت يا شقى ما ترحم ذاتك .
استيقظ من نومك قليلاً يا مسكين، افتح فمك مستغيثاً به، اطرح عنك ثقل خطاياك،
أرحم نفسك، تضرع بمداومة، ابك كثيراً.. اهرب من الاسترخاء، أمقت الخبث أرفض
الرديلة، حب الوداعة، ادرس التسبيح . أحرص أيها الأخ مادام يوجد وقت .

حب الله من كل نفسك كما أحبك هو، صر هيكلًا لله فيسكن فيك فإن النفس
الحاوية الله هي هيكل الله المقدس ... تصير مجداً للاهوت وتبادر دائماً إلى اقتقادها
مواكب الذين لا أجسام لهم فممنذ يسكن الرب في النفس فالملائكة السمائيون يبتهجون
بها ويحرصون دائماً أن يكرموا تلك النفس لأنها هيكل سيدهم !.

تعالوا يا أخوتى المباركين وأسمعوا فنفسى توجعنى (١) وجوانحى تؤلمنى أين هي
الدموع، أين التخشع؟ حتى يجمى جسمى بالدموع والزفرات، من ينقلنى إلى مكان
غير مسكون حيث لا يوجد البتة صوت البشر، وحيث يكون الصمت، حيث لا يوجد
إنسان يعوق البكاء ويقطع الدموع ..

فأرفع صوتى وأبكى لدى الإله بعبرات مرة وأقول بزفرات : أشفنى يارب فأبرأ لأن
قلبى من الإفراط يوجعنى، إذ أعاين يا سيدى قديسيك كذهب منتخب وهكذا
تأخذهم من العالم الباطل إلى نياح الحياة بمنزلة الفلاح إذا رأى الثمار بلغت أوانها
فيسارع إلى قطفها لئلا تتلف من عوارض الفساد فهكذا أنت أيها المخلص تجمع
العاملين البر، ونحن الذين فى تهاونا وقساوتنا مازال ثمرنا لم يتغير، إذ لن نبلغ حسناً
الأعمال الصالحة ونقطف إلى مخازن الحياة فالثمر الذى لنا ليست له دموع تصل به إلى
اكتماله، ولا تخشع البتة لتباهى نضارته من نسيم العبرات، ولا تواضع أصلاً ليظلل
فوقه من شدة الحر، ولا ترك قنية لتنتقل من الأمور المضادة، ولا محبة الله القوية
الحاملة الثمار، ولا عدم الاهتمام بالأمور الأرضية، ولا سهر، ولا عقل متيقظ فى
الصلاة ...

(١) عن ميمر «١٤» .

إذ عوض هذه الفضائل الصالحة يوجد ما هو ضدها، حقد، وغضب يعوقان الثمر
لثلا ينمو فينتفع به، وضجر عظيم.. هذه كلها كيف ترك الثمر ينمو ويكتمل كما
يليق؟!.

ويلي ويلي يا نفسى تكلمى وابكى إذ أين الآباء النساك الأبرار، أين هم الآباء
الكاملين؟.

أين هم القديسون؟ أين المتيقظون؟ أين الساهرون؟

أين المتواضعون؟ أين الودعاء؟ أين الصامتون والذين في السكوت؟

أين الورعون والعامدون القنية؟ أين المتخشعون الذين أرضوا الرب؟

أين الذين كانوا في الصلاة النقية قدام الله كملائكة منيرين؟

أين الباكون بخشوع؟ أين الذين حملوا صليبهم وتبعوا المخلص وسلوكوا ذلك
الطريق الضيق، بل وسلوكوا طريق الحق. طريق وصايا الرب وخدموا الله بسيرة
حسنة؟.

لقد أحبهم الله جداً وضمهم إلى ميناء الحياة والفرح الخالد ليتنعموا هناك في
فردوس النعيم إذ بفرح عظيم ساروا إلى الإله القدوس ومعهم مصابيحهم مضيئة...

ليس فينا فضيلة مثل أولئك.. بل ولا نحتمل بعضنا البعض إذ ألسنتنا محماه على
بعضنا، كلنا نلتمس الكرامة، نؤثر التشريف، نبتغى الراحة، نحب القنية، غير
منابرين في الصلوات، غير خاضعين، ضعفاء في السكوت، نشيطين في التنعم، باردين
في المحبة، حارين في الغضب، عاجزين عن الصالحات، وحريصين في السيئات...

ترى من لا ينتحب ومن لا يبكى على محبتنا الرخوة. لقد كان آباؤنا مرآة صافية
للمناظرين بل وكانوا يتهلون إلى الله من أجل أناس كثيرين.

ويلي ويلي يا نفسى في أى زمان أنت، وإلى أية حمة قد بلغتى؟.

وأى عذر يكون لنا أمام الله من أجل توانينا في خلاصنا إن لم نحرص الآن
ونبكى بشدة ونتوب حسناً بتواضع نفسى ووداعة كثيرة. ليقبل كل واحد منا بدموع

غزيرة ويلى أنا الخاطيء ماذا دهنى بغتة، كيف عبر عمر رخاوتى؟، وكيف أنا الغبى سرق زمانى؟ أين تلك الأيام التى قضيتها؟ وماذا أنتفع من كثرة هذه الأقوال إذا رأينا القديسين يأتون بمجد فى السحب لملاقاة ملك المجد، أما نحن فنكون فى ضيقة عظيمة. ترى من يستطيع أن يحتمل ذلك الحزى والتعير!.

فلنستيقظ وننهض يا أخوتى أحباء الله، ولنجمع أفكارنا قليلاً من هذا العالم الباطل، ونجثو أمام الله بعبرات غزيرة متضرعين بزفرات القلب لينجيننا من العذاب المر، ولكى لا نفارق السيد الحبيب الذى بذل ذاته للصلب من أجلنا، وأنا الغير المستحق والخطيء أتضرع إليكم أن تسكبوا من أجلى دموعاً فى صلواتكم وطلباتكم النقية طالبين لأجلى لأتخضع ويستضىء قلبى الأعمى، كما أطلب إلى الإله القدوس لكيما يعطينى نشاطاً قليلاً مع حرص فأتوب مادام يوجد وقت مقبول للدموع أنا غير المستحق الحياة أطلب إليكم أن تقبلوا إستغاثة أفرام الخاطيء أخيك المسترخى، ولنحرص كلنا أن نطلب غفران الإله القدوس لأن الرب واقف على الأبواب ليصنع إنقضاء العالم الباطل.

له السبح والمجد الدائم إلى الأبد آمين .

أنت إنسان تراب الأرض (١٠)، طين، قريب لكل ما هو أرضى وحقير، ابن للجنس الحيوانى. إذا كنت لا تعرف كرامتك فاعزل ذاتك عن الحيوانات بالأعمال لا بالأقوال، إذا كنت ولوعاً بالسخرية فأنت لا تختلف عن الشيطان وعندما تهزأ من قريبك فأنت فم إبليس.

إذا كنت تسر بالضعفات والخطايا بألفاظ جارحة فالشيطان لم يعد له مكان فى الخليفة لأنك قد اغتصببت مكانه عنوة. أهرب من هذا يا إنسان لأن هذا أمر ضار ومؤذ، وإذا أردت أن تحيا حسناً فلا تجلس مع المستهزئين لئلا تشترك معهم فى خطيتهم وفى عقوبتهم، عليك أن تبغض السخرية حتى تصل إلى البكاء، وأرفض الطرب حتى تقتنى طهارة النفس، وإذا صادف أن سمعت ساخراً على غير إرادتك فارسم على

(١٠) مترجم عن :

نفسك علامة صليب النور وأهرب عاجلاً من هناك كالظبي لأنه حيث يسكن الشيطان لا يمكن أن يسكن المسيح أو الإنسان الذي يسخر من قريبه إنما يفسح مكاناً رحباً لسكنى الشيطان، ويصبح قلبه قلعة لإبليس ولا يحتاج الشيطان إلى إضافة أى خطية أخرى لمثل هذا لأن السخرية في ذاتها كافية أن تفتح المصراع للجميع... فبسبب ضحك هذا الساخر يحزن البائس والمسكين وهو لا يعلم ذلك ولا يدركه. جرحه لا يندمل وعلته لا شفاء لها. وألمه بلا دواء وضربته لا تقبل العلاج. ليست بى حاجة أن أجعل لساني في توبيخ مثل هذا الإنسان فيكفيه عاره المخجل وتكفيه جرأته الوقحة. طوبى لمن لا يسمعه ولن لا يعرفه.. فهذا الشرير خميراً لإبليس.

لا تغضب إنساناً لثلاثا يلقبوك بالشيطان فإن كنت تكره مجرد الاسم فلا تقترب من ذات الفعل، أما إذا كنت تحب هذا التصرف فلا تغضب من هذا القلب. أنظر إلى الطيور وويخ نفسك أولاً مما تراه فيها فكل نوع يلتصق بجنسه ومنها تتعلم أن تتفق مع رفيقك في النير، ولا تبتهج بما يصيب الناس من المهانة حتى لا تكون أنت نفسك شيطاناً فإذا حدث شر لمن يبغضك فلا تفرح لثلاثا تخطفه فإن سقط عدوك فتألم من أجله واحزن.

أحفظ قلبك حتى لا يخطيء داخلياً (م ١ : ٤ : ٢٣) لأن كل أفكار الإنسان وأفعاله سوف تعلن أمام الجميع. سخر يديك في العمل ودع قلبك يهذى بالصلاة، إياك أن تحب الأحاديث البطالة لأن الحديث النافع يبنى الجسد والروح ويخفف من عبء عملك.

بالنسبة للبار والمستقيم تصبح التجارب عوامل مساعدة، لقد انتصر (١١) أيوب على التجارب بالتميز والحكمة. لقد حل عليه المرض فلم يئن أو يشك. لقد أفضت العلة مضجعه ولم يتذمر، ذبل جسده وتداعت قواه ولكن إرادته الصالحة لم تضعف، لقد أثبت كماله في كل آلامه على قدر ما عجزت التجارب عن سحقه، كان إبراهيم غريباً عن وطنه وبيته وأقاربه ولكن لم يصبه أذى بل لعل هذا عزز انتصاره في جهاده، وهكذا يوسف في بيت العبودية انتقل ليحكم كملك مصر. تأمل الذين رافقوا

دانيال وحنانيا، خلصوا آخرين من العبودية... تأمل أيها الحكيم القوة التي تمتلكها الحرية لا شيء يستطيع أن يصيبها بأذى ما لم تضعف الإرادة.

أنخم إسرائيل بحياة الترف والمتعة فترك عهده مع الله ونسيه (تث ٣٢ : ١٥) فقدم عبادته لآلهة كاذبة، ونسى طبيعة خلقته، نسى أيام عبوديته في مصر عندما استراح السبت في البرية، كلما حاصرته الضيقات عندئذ فقط كان يعترف بالرب الإله ولكن عندما يسكن أرض الراحة كان ينسى الرب مخلصه، لا تلمس الراحة في هذا العالم لأن هنا أرض الشقاء. وإذا كنت حكيماً فلا تستبدل زماناً بزمان، «لا تستبدل الحياة الباقية (الأبدية) بالفانية»، لا تستبدل الأبدية بالزمنية، ولا الحق بالكذب، ولا الجسم بالظل ولا اليقظة بنوم الغفلة، ولا اللائق بما لا يليق، ولا الدهر بالأزمنة.

اجمع ذهنك ولا تدع فكرك يطيش في أمور مختلفة لا تفيد .

لا يوجد في الخليقة غنى إلا من هو يخاف الله ، والفقر الحقيقي هو من لا يملك الحق ما أشد حاجة الإنسان وفقره، حتى أنه يلمس حاجته من المنبوذين والفقراء، وسوف تكون حاجته هذه شاهداً ضده، إنه مستعد حقاً وكثيرون يسودون عليه، مستعد للمال، والثروة والمقتنيات سادته تنعدم فيهم الرحمة، لأنهم لا يسمحون له بالراحة. أهرب من هذا العناء والتمس حياة الفقر لأنها تمنحوك عليك كما تمنحوا الأم على وحيدها، تحصن بالحاجة والعوز لأنه يطعم صغاره بالأشياء المختارة، إن نيره هين ولطيف، ويلذ تذكاره لحلقك. مرضى الضمائر وحدهم هم الذين يرفضون جرعة الفقر، ضعاف القلوب هم الذين يجزعون من نير العوز الشريف، من الذى أعطاك يا ابن الإنسان أن تجد راحة في العالم؟ من الذى أعطاك يا وليد التراب أن تكون غنياً في وسط الفقراء؟! لا تكن حاجتك وهموك وتطلعك للآخرين بسبب الميول والرغبات يكفيك طعام يومك الذى تكسبه بعرق جبينك، ليكن هذا هو مقياس احتياجك.. فإذا دعيت إلى وليمة فلا تأكل منها إلا على قدر حاجتك، ولا تأكل في يوم طعام أيام لأن البطن لا تدخر طعاماً بل سبح الله وأشكره .

عندما تشبع حتى لا تغضب واهب العطية شدد نفسك في الطهارة حتى تكسب

من ورائها نفعاً . في كل شيء أشكره وسبحه كفاذي نفسك حتى يعطيك حسب نعمته
أن تسمع وتعمل مشيئته المقدسة .

وإذا قدمت إليك مشورة الحياة فلا تتغافل عنها . لقد كتبت لك ما كتبت مما
أخذته من تعاليم الآخرين ، فأياك أن تحتقر كلماتهم وإذا سبقت في الرحيل فاذكرني
في صلاتك في كل وقت .

صل وتضرع حتى تستمر محبتنا صادقة . أما بالنسبة لنا فيما يختص بهذه الأمور
فلنقدم السج والكرامة للآب والابن والروح القدس الآن وإلى الأبد . آمين .

صلاة للقديس (١)

إن حبك يا سيدي يسرى في قلبي كما تسرى النار في الحطب فتأكل من قلبي
كل خبيث وتحرق كل نجس ، إذأ فأعطني يا سيدي بسماحة وبلا كيل حسب وعدك
وكما يليق أن يعطيه إله لإنسان وأب حنون لابن مسكين ، وإن كنت غدرت وخالفت
ولا زلت أخالف فأنا ترابي وابن ترابي فارغ فاملأني كما ملأت أجران الماء من
الحياة ، جائع فأشبعني كما أشبعت خمسة آلاف من خبز البركة ، يا من قبلت فلس
الأملة أقبل شحيح طلبتي .. لأصير بنعمك هيكلاً لك فتسكن فيّ وتستريح معي
فتعلمني كيف أرضيك وأبتهج بك ... أستشفع إليك يارب بصلوات الذين أرضوك أن
يكون لي أنا الصغير والحقير بينهم نصيباً في مجد أقدمه لك وتسبيح لا يهدأ ... قد فتح
عبدك فمه مع قلبه فاملأها بنعمتك لأن الكل يسبح بمجدك فإن كان الهواء يمرق
متباهياً بخفته والطيور يخطر متعجباً بنعماته فهذا من قبل مجد حكمتك .. وإن كانت
الأرض تزهو بحلة الأزهار الرائعة فهذا لم تنسجه يد بشر ولكنها أصابعك يارب
الجمال ! وإن كان البحر يزهو بامتلائه لخير السائرين عليه فليس من كف تصب فيه
ولكنها عناية السماء يارب البركة ، وإن كانت الأرض أخرجت زرعاً فما الزرع
بمستطع من ذاته أن يخرج الثمر ولكنه افتقاد خيريتك !

(١) عن كتاب السج طلبات لمشاهير قديسي الكنيسة - دير السريان ص ١١٢ - ١١٩ .

أطر يارب على قلبى من بركتك فينمو زرع الفضيلة فى قلبى وتمعهده بالمراحم
ليخرج ثمر البر برحمتك ، وكما تزدان أعشاب الحقل بجمال الزهر زين نفسى الموحشة
بأزهار الطاعة والتواضع والمحبة والصبر.

وماذا أقول وقد أعجزنى القول ! ها هى صلاتى ضعيفة أقدامها ومن أمامى وخلفى
أجر ثقل آثامى .

الويل لى أنا الخاطيء الكسلان المتوانى الذى وصلت إلى مثل هذه السيرة الرديئة .
ها أخوانى قد تزينوا بالفضائل ويتقون الله بالحقيقة وأنا عارى منها . أندم الأمس على
ما فرط منى وأكمل اليوم أقبح منها . وهب لى الرب حياة وعافية ولكن بدل أن أعبده
بهما أخطيء إليه ... فحتى متى أتوانى وإلى متى أتهاون وكيف لا أعرف ضعفى وإلى
متى أقاوم الذى خلقتنى . أطعت الشيطان حتى صرت عدو الملائكة وعاراً عندهم ...

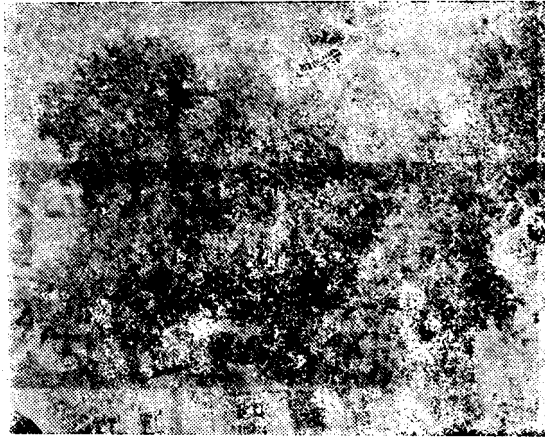
إلى من أشتكى من ذا الذى يرضى لييكى علىّ أنا الشقى . عدوى أوقفنى مجرداً
بسبب توانى وكسلى ملأ بطنى شهوة وسد عينى بالنوم حتى جعلنى غريباً عن القناعة
غريباً عن السهر والصلاة ، غرس فى قلبى محبة الفضائل حتى ألهانى عن نفسى فجفت
دموعى وغلظ قلبى وتحايل علىّ حتى فصلنى عن الطاعة التى بالمسيح وجعلنى بطالاً
حسوداً معاتباً تماماً منافقاً . محباً للغلبة ، أخفى عنى الخشبة الطويلة التى فى عينى
وكشف لى عن القذى الصغير الذى فى عيون الناس حتى صرت باراً أمام نفسى وصار
كل الناس أمامى مدانين يشير علىّ أن أخفى أفكار قلبى وإذا سقط أخى فى هفوة
يحركنى لألومه وأفضحه ويجعلنى أنسى كل شىء وأتذكرها . دربنى كل يوم كيف
أكون غضوباً متكبراً شراً محباً للذة أشبع وأسكر منها وأنا عالم بنجاستها وعقابها ...

خسارة نفسى جعلها عندى فوائد ، صيرنى مهذاراً ردياً أقرأ وأرتل بلا خشوع أو
ورع .. حتى إنى أصلى ولا أعرف ماذا أقول .

مراراً كثرة وُعطت من رجال قديسين وكنت دائماً أخالف مشورتهم ... ويحى متى
أرجع إلى ذاتى وعلى من أعتد بعد أن اسخطت إلهى الذى خلقتنى وأنكرت نعمة
الذى سترنى برحمته كل يوم ...

أعطني قوة يارب أهرب بها من عدوى الذى ربطنى بأعماله الردية التى انفرست
فى نفسى فإنه كذاب وأبو الكذاب وهو قتال للناس منذ البدء لا يشفق على من يطيعه
بل يسرقه إلى الهلاك ...

أسجد الآن بين يديك يارب القوة والمجد معترفاً بخطاياى .. إذ أنك تقبل كل من
يقبل إليك لأنك محب للناس .



- شجرة القديس العظيم مارأفرآم السريانى الكائنة بدير السيدة العذراء- السريان

الفصل السادس :

الرجاء

« أما منتظروا الرب فيجددون قوة يرفعون أجنحة

كالنسور يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون »

(أش ٤٠ : ٣١)

+ أيها السيد القدوس إن نفسى حزينة وقد تقدمت إليك (١) متضرعة أن تنقذها من العدو، وساجدة لك بتواضع صارخة إليك من أجل ذلك الذى يحزنها، وإذ قد لجأت إليك بشوق تعهدتها فإنك إن أعرضت عنها هلكت، إن تفقدتها من أجل رافاتك فقد ظفرت إن أقبلت إليها خلصت، إن استجبت لها ثبتت فأيقظ غيرتها لأنها خطيبتك كما يقول بولس الرسول «فإنى أغار عليكم غيرة الله لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح» (٢).

أيها السيد أذبنى برافاتك ولا تسلمنى إلى يد العدو .. إننى لست أعرف آخر سواك. نعمة شفيتك لا تحصى إنها تمنح الشفاء لكافة الذين يقبلون إليك جراحاتى تشفى برافاتك دائماً ثم يعاودها الألم من أجل تهاونى، أنسى الطبيب وقت صحتى فينسانى وقت مرضى. لا أنس إنك تحملتنى من أجل تحنك، فالأم إذا أطرفها طفلها لا تحتمل أن تبتعد عنه إذ تغلب من تحننها وكذا الطير فى كل ساعة يفقد صغاره بالطعام وبتعب يغذيهم. فإن تكن هذه التى لا نطاق لها مثل هذا التحن فكم بالحرى تحنك.

ها عين الماء تنبع دائماً بلا انقطاع وتمنح المقبلين إليها الماء مجاناً، وبلا حسد وغير محتاجة إلى مديح بنى البشر!. وها عين لجة رافاتك تبدو للسمايين والأرضيين مدبراً كل نفس، وأنت غير محتاج إلى مديح، وتمجيد سائر البرايا لأنك ممجد بجوهر عظمتك وجلال مجدك الدائم وعجبتك نافعة دائماً لخلاصنا، وبسابق علمك تعرف المقبل إليك فقبل أن يصل إلى الباب تفتح له، قبل أن يجثو ساجداً تقبله، وقبل أن ينبع دموعاً تتقاطر عليه رافاتك، يعترف عن آثامه فتعطيه الغفران ولا تذكر له ما مضى من توائيه .. تبصر التواضع والبكاء وخشوع القلب فتهتف أخرجوا الحلة الأولى، وألبسوه إياها، إذبحوا العجل المسمن ولتفرح الملائكة أيضاً معنا (٣) ..

(١) عن ميمر «١٦» المخطوطة ٢٠٠ ميامر / دير السريان .

(٢) (٢كو ١١ : ٢) .

(٣) (لو ١٥ : ١٢ - ٣٢) - الابن الضال .

هكذا بنعمتك تقبل الذى يقبل إليك لأنك تتوق أن تبصر الدموع وتعطش إلى
معاينة التوبة وتسبححرص الحريصين أن يتوبوا..

كما تقدم التلاميذ وهم سائرين فى البحر وأيقظوك وبصوتك المبارك هدأت
الرياح.. هكذا استجب لعبراتى فإنها نهاراً وليلاً!

الأطباء تعبوا اثنى عشر عاماً ولم يشفوا نازقة الدم ، أما أنت فمنحتها الشفاء إذ
تقدمت ولسنت (٤) هدب ثوبك فأرح نفسى الحزينة من تعيير العدو أيها الطبيب
المتحن الذى صنعت الصلح بين السماء والأرض .

أنت غير المائت قدمت لأجلنا بل وصابرت على كل شىء لذا نحن بلا عذر! يا
سيدى إننى بنفس حزينة أصرخ وأتضرع إليك من أجل عدوى . فانظر يا سيدى وازجر
هؤلاء المجربين فإنهم فى كل ساعة يسرقوننى ولا أعلم ، يذهوننى ولا تحشع ، ويمنعوننى
عن الاستغاثة لك لأنهم عرفوا إننى أهتف إليك بدموعى . إن فرح هذا العالم يعطى
حزناً أما الحزن والتنهيد يسبب سروراً وحياة أبدية!..

أيها السيد إننى كل حين مريض لكن نعمتك تمنحنى الشفاء مجاناً هناك أناس فى
مصارعهم ينهزمون ، وأناس يكللون وأناس بحياة مريرة يتذوقون حلاوة الحياة
الأبدية ، وقوم آخرون بحياة الرخاء يكتسبون مرارة العذاب الأبدى .

الذين يحبون الله بكل قلوبهم محاربتة ليست لديهم شيئاً ، أما الذين يحبون
العالم فمحاربتة عندهم بصعوبة ولا يحملونها..

مغبوطون بالحقيقة هم الذين يحتقرون أشياء العالم ، ومغبوطون هم الذين سيكون
نهاراً وليلاً لينجو من الرجز الآتى .

الطوبى للذين يضيعون ذاتهم بإرادتهم فإنهم يرفعون الطوبى للمساكين فإن نعيم
الفردوس ينتظرهم...

الطوبى للذين يتعبون أجسادهم بالأسهار وكثرة النسك فإن ابتهاج الفردوس معد
لهم..

(٤) (مت ٩ : ٢٠ - ٢٢) .

. الطوبى للذين صاروا في طاعة هيكلًا للروح القدس ، الطوبى للذين صلّبوا ذواتهم ، الطوبى للذين منطلقوا أحقادهم بالحق ولهم مصابيح معدة يتوقعون عريسهم مغبوط المقتنى أعياناً عقلية لمعاينة النصيب الأبدى .

الطوبى لمن نظر إلى تلك الساعة الرهيبة دائماً ، الطوبى لمن صار على الأرض بلا أوجاع ليصير كالملائكة ويتفطن أسرار العلى وينطق بها ويعمل ويتجر فيريح غير مهتم باللذات والشهوات .

ليكن لنا دائماً فكر أقوال الرب والملائكة الرؤساء والشاروبيم والسارافيم والآباء الرسل والشهداء والقديسين وكافة البرايا التي لها ذلك بنعمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح دائماً .

+ لك أجتو ساجداً أيها الرب يسوع المسيح (°) ابن الله الحى . أعطنى ولكافة الذين يحبونك أن نعابنك بمجد فى ملكك ونرث مع كافة الذين أحبوك وتاقوا إليك أيها السيد الرب .

يا أحبائى إن توانينا واضطجعنا فى هذا الزمان اليسير فلا يكون لنا دالة فى ذلك اليوم إذ ليس لنا عذر عن خطايانا ...

إنه منذ أن نزل إلينا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح انتزع عنا كل عذر لأنه وهب لنا حين جاء تلك الحياة الأبدية .

كنا أعداء فصالحنا ، أرضيين فصرنا سمائيين ، مائتين فدعينا غير مائتين بنى الظلمة فصرنا بنى النور، عبيداً للخطية فحررنا ، مساكين فصرنا أغنياء ، تائهين فأرشدنا ، ممقوتين فأحببنا ، ظالمين فزكينا ، غير مرحومين فرحمنا ، خاطئين فخلصنا ، لقد كنا تراباً ورماداً فصرنا أبناء الله ، عراة فسترنا وصيرنا وارثين معه نظير ابنه فى الميراث الأبدى ..

هذه العطايا والنعم وهبها لنا ربنا فماذا نكافئه عنها يا أحبائى ؟.

هلموا فلنطرح عنا كل اعتناء واهتمام هذا العالم الباطل ونخدمه بحرص ونشاط

(٥) من ميمر «٢١» .

فها مجيئه قد حان بالحقيقة تعالوا يا أخوتي لنستيقظ منتظرين ربنا الختن الذى لا يموت.. فها قد انتهى الليل وأقبل النهار فيا بنى النور بادروا إلى النور وأخرجوا إلى استقباله بفرح، أروه فضائلكم قدموا نسككم وإمساكم، أسهاركم، أتعاكم، دموعكم، زهدكم، لا ترقدوا ولا ينظر أحدكم إلى الورا. بل ليكن نظركم إلى العلى إلى ذلك الجمال السمائي لتأمل ذلك الفرخ الذى لا ينتهى، والذى لا تشبع نفوسكم من معاينة مجده وبهائه وحسنه .

من يجوع فليصبر لأن مائدة الملكوت تنتظره ، ومن يعطش فليشبت فها نعيم الفردوس قد أعد له . من يسهر ويصلى ويسبح ويبكى فليتأيد فإن سرور ربه يعزبه ، وكل واحد منا فى ذلك اليوم سيرى أية فضيلة قد اقتناها من ههنا أو أى أتعاب صبر عليها ..

فاذا أشهر الشهداء تعاضبهم والنسك الشجعان نسكهم .. فالمضطجعون بماذا يفخرون هل بتوانبهم وهلاكهم؟.

إننى أخشى يا أخوتى أن يتم فينا ذلك القول أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغرب ويتكثون مع ابراهيم واسحق ويعقوب. فى ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية (٦) .

فهلمو نسجد ونبكى ونوح أمامه بشدة ليعطينا استنارة النفس فنعرف حيل عدونا ، إذ يجعل أماننا العثرات ، واللذات ، وطول زمان هذه الحياة الحاضرة ، وجزعا عن النسك ، وعجزاً عن الصلوات ، ومقدار ما يحرص على هذا نحرص نحن على التوانى والتهاون . لنعلم أن أيامنا قصرت ، والوقت قد قرب ، ورب المجد سيجيء فى مجد بهائه وقوات ملكه الرهيبه فيجازى كل واحد كنعو أعماله .. فياربى لا تجازينى نظير أعمالى بل خلصنى بنعمتك وترآف علىّ بتحننك فإنك أنت المجد إلى أبد الدهور آمين .

+ جرحت فلا تياس لأن المجاهد مراراً كثيرة يسقط ويقوم مكللاً (٧) أنهضى ، تشجعى يا نفسى وقولى منذ الآن بدأت لا تلبثى فى الهفوات لكلا تدفعى طعاماً للطيور

(٦) (مت ٨ : ١١ - ١٢) .

(٧) عن ميمر (٢٨) .

والوحوش ، أخضعى متضرعة بخطاياكى إذا أردت الدخول إلى ملك الكل فإنه لا يطلب هدية فهو محب للناس فتقدم بضمير نقى إذ قبل أن تفتح فمك قد تقدم فعرف نتائج قلبك فلا تكتم الألم لأنه طيب يرثى الكل . شفى المريض المزمّن بكلمة إذ قال له قم أحل سريرك وامش ففى الحال قام ومشى ، شفى الأبرص وأقام العازر من الموت بعد أربعة أيام .. وهكذا أعمال الله لا تحصى .

لقد قال إذا كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة فكم بالحرى الآب الذى من السماء يعطى الروح القدس للذين يسألونه (٨) فتقدم معترفاً بخطاياك قائلاً : « إننى قد أخطأت فى السماء وقدامك ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك ابناً » (٩) .

لست مستحقاً أن أسمى اسمك المجيد بشفتى الخاطئة ، ياربى أتضرع إليك أن لا تبتعد عنى إذ لولا يدك تسترنى لكنت هلكت أعضدى أنا الضال .. ترآف على كالعشار ، وكالصلص اليمين إذ وهبت له الفردوس يارب إنك قد جئت لا لتدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة (١٠) .

أيها الحبيب لتستقم صلاتك كالبخور قدام الله ولتسمع قوله عظيم هو إيمانك .. وليقيمنا معه لأن له المجد والإكرام والسجود الدائم إلى الأبد .

+ قيل أنصتى أيتها السموات فأتكلم ولتسمع الأرض أقوال فمى . يهطل كالمنطق تعليمى ويقطر كالندى كلامى .. (١١) فهو الندى الذى يحيى الموتى فالمتى سينهضون والذين فى القبور سيقومون .

إن كافة الأشياء ممكنة لدى الله وليس شىء يصعب عليه . فإن ذكرت السموات وإن قلت الأرض ، إن ذكرت لجة البحار وإن قلت الأعماق وإن ذكرت بحاراً

(٨) (لوقا : ١١ : ١٣) .

(٩) (لوقا : ١٥ : ٢١) .

(١٠) قال أنبا إيليا « أى مكان للخطية حيث تكون التوبة » بستان الرهبان ص ٢٩٩ .

(١١) (تث ٣٢ : ١ - ٢) .

أخرى ... كلها في يده وكأنها كلاً شيء!.

ويقول إشعياء النبي « من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض، ووزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان، من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه » (١٢).

ويقول حبقوق النبي « سمعت فارتعدت أحشائي . من الصوت رجفت شفتاي » (١٣).

ويقول بولس الرسول سيبوق فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت . حينئذ تصير الكلمة ابتلع الموت إلى غلبة . أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية (١٤) .

من أجل هذا لا يبكى المسكين ولا يستعظم الغنى، ولا يحزن الضعيف، ولا يتشامخ القوى ولا يغمم العبد، ولا يفتخر السيد فإننا من الأرض وفي التراب يسكن جسمنا إلى أن يجيء الرب يجيء أجسامنا المائتة .

الصديقون فليفتخروا بالرب ويسروا لأنهم مغبوطون كافة الذين يوجدون حينئذ أهلاً لذلك الصوت المبارك «تعالوا إلىّ يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم» (١).

فاصبروا الآن يا صانعي العدل متحملين الأتعاب من أجل ميراث الله فإن (١٥) تعب هذه الحياة الوقتية ينحكم دالة جزيلة في الدهر الآتي، وضيقة هذا العالم الحاضر تصير لكم نجاحاً وعزاء، والبكاء الآن يسبب لكم فخرأ لأنه مغبوطون هم كافة الصابرين له، فالأبرار يسكنون صهيون، الذين يخدموننى بيتهم بالسرور، أما الأشرار فيصيحون من أجل وجع قلوبهم ويولولون.. الذين يخدمونه يدعوههم باسم جديد

(١٢) (أش ٤٠ : ١٢ - ١٣) .

(١٣) (حب ٣ : ١٦) .

(١٤) (١ كو ١٥ : ٥٢ - ٥٥) .

(١٥) (مت ٢٥ : ٣٤) .

وينسون حزنهم الأول : ستكون لهم سماء جديدة وأرضاً جديدة . وما لم يخطر على قلبهم من السرور والابتهاج .

فإذا عرف أن لدى عمل حسناً أصرخ إليك أيها الرب الصالح والفادى قائلاً : اغفر لي أنا الخاطيء ، فإن ذلك العشار الذى يفوق حقارتى كان واقفاً على قدميه مطرقاً إلى أسفل و يقرع صدره متضرعاً ...

فأنا بما أنى مفرط فى الهفوات أنطرح على وجهى هاتفاً إليك أيها المتحنن والظاهر المرهوب « اللهم اغفر لي أنا الخاطيء » والغير مستحق لثلاث تكون لي دينونة .

وإذ أستجريء أن أسمى بلسانى النجس وشفتى الدنسة اسمك القدوس والفائق السبح إلى الدهور فلتصر لي الاستغاثة يارب باسمك لاستنارة وقداسة الجسد والروح .

البخور إذا ارتفع ملاً البيت نسيماً طيباً فكم أولى ذكرك يارب الذى هو أحلى من العسل والشهد الذى يملأ نفوس الذين يتوقون إليك بإيمان كل قداسة واستنارة .

الذى نزل من حضن الآب وصار لنا طريقاً للخلاص يعلمنا التوبة (١٧) بصوته الإلهى « ما جئت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » وأيضاً « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » (١٨) .

فإن كنت أنا الذى أقول هذه الأقوال فلا تسمعننى إطلاقاً ، وإن كان الرب نفسه يقولها فلم تتهاون بحياتك متوانياً عنها؟! إن عرفت أن لذاتك جراحات من الأفكار والأفعال فلم تتوانى عن جراحاتك الخفية؟ ومن تخاف؟! أمن الطبيب إنه ليس قاسياً ، ولا عديم الرحمة والتحنن ، إنه لا يستعمل دواء غير مقبول وكاوياً لأنه يداوى بالنصح فقط . إن شئت أن تتقدم إليه فهو مملوء تحنناً جاء لأجلك من حضن الآب ، من أجلك تجسد لتتقدم إليه بلا خوف ، من أجلك تأنس ليشفى جراحاتك الخفية ،

(١٦) عن ميمر «(٣٩)» .

(١٧) عن ميمر ١٠ المخطوطة ٢٠٠ ميامر دير السريان ، بستان الروح ج ١ ص ٥١ للقس شنوده السريانى (مثلث الرحمت المتنيح نيافة الأنبا يؤانس) .

(١٨) (مر ٢ : ١٧) .

ومحبة جزيلة يدعوك قائلاً: أيها الخاطيء تقدم وابدأ بسهولة، إطرح عنك ثقل الخطايا. قدم تضرعاً ضع على جراحاتك دموعاً! لأن هذا الطبيب السماوى الصالح يشفى الجراحات بالدموع والتنهيد! هل تعلم أيها الحبيب فى أية ساعة يأمر الطبيب السماوى فيغلق باب مداواته؟ أطلب إليك أن تتقدم وتحرص أن تبرأ فإنه يشاء أن يفرج بتوبتك الموكب السماوى.

فى حال قولهم قد هلكت وما تستطيع أن تخلص البتة، فلنقل لهم نحن (١٩) لنا إله متحنن طويل الأناة فلا نياس من خلاصنا.

لأن الذى قال: لا تصفح للقريب سبع مرات فقط بل سبعين مرة سبع مرات هو أولى بالأكثر أن يصفح الخطايا للمتظرين خلاصه. فإن هم انهزموا من تلك الجهة يتبادرون من جهة أخرى قائلين لنا: إذ لكم إله متحنن وطويل الأناة وغافر الخطايا فلماذا لا تستمتعون أكثر بلذات العالم ثم تتوبون. فنقول إن كان الكتاب يحذرنا قائلاً: إنها الساعة الأخيرة فألى أى ساعة ننتظر إن أهملنا خلاصنا فى فعل الشر قدم إلهنا. قاتل الشيطان فتبيد القتال مثل إنسان جالساً تحت شجرة فإذا تجمعت عليه وحوش البرية يقفز إلى أعلى الشجرة فلا تضره ولتكن لك الشجرة هى مخافة الله فتكون النعمة تؤازرك فى سائر طرقك، وتجعل أعداءك تحت موطىء قدميك.

هكذا يجب على المؤمنين أن يسلكوا فى هذا العمر. فمتى عرض لنا حزن أو ضيقة فلننتظر راحة من الله ومعونته توافينا لئلا فى كثرة الحزن والياس فى الخلاص نصير موتى.. وكذلك إن صار لنا فرح فلننتظر الحزن لئلا بالفرح الكثير نتناسى النوح... ولناخذ مثلاً الذين يسرون فى البحر فإذا أدركتهم شدة الرياح والشتاء الشديد لا يأسون من خلاصهم. بل يقاومون الأمواج منتظرين الصحو. وإذا كانوا فى الهدوء والسكون يتوقعون تدفق الأمواج فمن هنا يكونون فى يقظة كل حين لئلا تصير الرياح بغتة وتجدهم غير مستعدين فتقلب السفينة بهم فى البحر.

هكذا نحن نحتاج أن نرصد الحالين كليهما لأن المستعد إن وافاه أمر لا يتعجب مما كان ينتظره!

(١٩) عن ميمر «٤٢» قول ٩٠ - ٩٢.

لا يمكنك أن تستمع لكلمات مخلصنا ، بينما أنت لا تعرف نفسك (٢٠) وإذا كنت تحفظ أحكامه بينما ذهنك بعيد عنه فمن الذى يعطيك مكافأتك؟ من الذى يدخر لك الجزاء؟ لقد اعتمدت باسمه إذاً إعترف باسمه بالأقانيم الآب والابن والروح القدس هذه الثلاثة أقانيم لتكون خصناً يحميك من التمزق والصداع ، لا ينتابك الشك فى الحق لثلاث تهلك بسببه . لقد اعتمدت بالماء وليست المسيح عندما دعى اسمه عليك ، صرت عرشاً لله ، وختمه على جبهتك . فاحذر لثلاث تصير لآخر حتى لا يكون لك سيداً آخر . واحد هو الذى جبلنا برحمته ؛ واحد هو الذى افتدانا على الصليب ، إنه هو الذى يقود حياتنا ، وهو وحده له سلطان على ضعفنا ، وهو وحده يهينا قيامته . إنه يجازينا حسب أعمالنا فطوبى لمن يعترف به ، ويسمع وصاياه ويحفظها . أنت أيها الإنسان هو ابن الله الذى هو فوق الجميع لاحظ طرقك لثلاث تغضب بأفعالك الآب الصالح الخنون .

ما أعظم نعمة الله ! مراحمه لا تقاس (٢١) ! طوبى للإنسان الميت الذى يعلن له الله مراحمه ، وويل للنفس التى ينكر عليها نعمته .

تهلل يا ابنى بالرجاء ، ازرع بذراً صالحة ولا تفشل (غل ٦ : ٩) فإن الزارع يبذر على رجاء ، والتاجر يسافر على رجاء ، كذلك أنت يا من تحب الصلاح توقع المكافأة بالرجاء . لا تبدأ فى عمل ما بدون صلاة . واختم كل أعمالك بعلامة الصليب الحى ، لا تغادر بيتك قبل أن ترسم علامة الصليب ، أيضاً فى الطعام أو الشراب ، فى النوم أو اليقظة ، فى البيت أو فى الطريق ، كذلك فى وقت الراحة لا تهمل هذه العلامة لأنه لا يوجد حارساً لك مثلها ، ليكن الصليب سوراً لك فى مقدمة كل أعمالك ، علمها لأبنائك ولينفذوها باهتمام .

إلتجىء إلى الله فهو ملجأ لك ، ولا يستحيل أو يتغير ، اضبط الضحك بالآلام واضبط محبة اللهو بالحزن . الرجاء هو عزاء الآلام ، والصبر هو عزاء الحزن ، آمن

(٢٠) مترجم عن :

The Writings of Niciene and post Niciene fathers vol . 13 - Page 330

(٢١) مترجم عن المرجع السابق - «335» page .

وصدق أيها العاقل لأن الله هو الذى يقودك . وإذا كانت عنايته لا تتخل عنك فلا يوجد شيء يمكنه أن يضررك وإذا كان خلاص الإنسان يمكن أن يتم على يد إنسان ونجاة الحقيير تتم على يد العظيم فكم بالأولى الالتجاء إلى الله الذى يحفظ المؤمن ، لا تخف بسبب الأعداء الذين يهاجونك بالعنف لأن عين الله الساهرة سوف تحفظ روحك وتتحول الأمور الضارة لصالحك ، لن يرغمك أحد على طريق إلا إذا كان بحريتك ، لا يقع أحد فى تجربة تفوق حدود طاقته ، لا شر فى التأديب إذا كان هدفه الحرية ، فالأحداث لا تناقض الحرية ، ولكن اتجاهها يتغير لصالح المؤمن .

صلاة للقديس (٢٢)

أيها المخلص أعطني شوقاً إلى خلاصك يارب فإنى مثل أرض ظامئة ومنتظرة المطر لأصنع قبل الموت ثمراً لثلاً أخزى يوم المجازاة .

أرحمنا كلنا أنت أيها الصالح ، نشكرك لصلاحك لأننا كلنا غير مستحقين فأهلنا أن نخدم اسمك القدوس وأن نبسط أيدينا كلنا إليك يا أبا الكل ونجنا من كل فعل شيطاني .

امنحنا أن نوجد كأرض جيدة وصالحة لكيما إذا قبلنا بذارك نثمر مائة وستين وثلاثين ، أعطنا يارب أن نتجر بالفضة التى أعطيتنا إياها ، لكيما نقرب لك ثمر العدل فنؤهل لميراث العشر مدن ...

امنحنا يارب أن نسهر ونستيقظ لاستقبالك ممنطقين أذهاننا ماسكين مصابيح أنفسنا العقلية متقدة ، منتظرين إياك يا إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح . أهلنا يارب للاختطاف مع الصديقين حيث يستقبلونك يا سيد الكل فى السحب .. لثلاً نوجد فى تلك الدينونة المرة ... بدد يارب قبل الوفاة وثق خطايانا لثلاً تصير لنا عائقاً فى تلك الساعة . وتقودنا إلى النار التى لا تطفأ .

(٢٢) عن ميمر «٣٩» .

نعمتك يارب فلتصر لنا قوة ولتأخذنا في السحب مع الصديقين إلى لقائك يا ملك الكل، ليستقبلنا الملائكة القديسون بفرح وبوجه مستبشر ونسجد كما يجب أمام عرش مجدك ونعاين المجد الذي لا يوصف ... ولنهتف: المجد لمن أعطى المائتين عدم الموت، المجد لمن نجانا من فم الأسد، والعدو المفسد، وأعدنا للملكه السمائي حيث كاتمة الخيرات والنور الذي لا يعقبه ليل، حيث السرور الذي لا يشوبه حزن ولا ألم لأنه بالحقيقة يهرب الوجد والغم والتهد لوقته ونكون مع الرب دائماً. هذه هي أصوات الصديقين والقديسين والنسك المختارين جماعة الذين بتوبتهم أرضوا الإله الرحوم عند مجيئه .

يا أحبائي فلنتيقن ولنصغ إلى ذاتنا لكي نسكن مع الصديقين ويفرح قلبنا ولا ينزع أحد سرورنا مسيحين ومباركين وساجدين للثالوث الأقدس المساوي في جوهره إلى أبد الدهور آمين .

الفصل السابع :

توبة المرأة الخاطئة

«قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحببت كثيراً»

(لوقا : ٧ : ٤٧)

اسمعوا وتعزوا أيها الأحباء عندما ترون رحمة الله للمرأة (١) الخاطئة إذ غفر لها خطاياها، نعم لقد وقف إلى جوارها عندما كانت هدفاً للانتقاد.. بالطين فتح عيني الأعمى حتى نظرت عيناه النور (يو٩)، وأعطى الشفاء للمفلوج فقام ومشى وحمل فراشه (مت٩: ٢) أما نحن فقد أعطانا اللآلئ أي جسده ودمه الأقدسين. لقد أحضر أدويته خفية ومعها يعطى الشفاء علانية وكان يتجول في أرض اليهودية كالطبيب يحمل أدويته معه، دعاه سمعان إلى وليمة لكي يأكل خبزاً في بيته (لو٧) فسرت المرأة الخاطئة عندما سمعت أنه كان جالساً يأكل في بيت سمعان، وتجمعت أفكارها كالبحر وهاجت مشاعر المحبة في قلبها كالأمواج. لقد رأت بحر النعمة وكيف انحصر في مكان واحد وقررت أن تذهب وتفرق كل شرورها في أمواجه!

لقد قيدت قلبها لأنه أخطأ، قيدته بسلاسل ودموع الألم، وبدأت تبكي في داخلها: ماذا استفدت من الزنا وماذا أفادتني النجاسة، لقد أفسدت أصحاب العفة بلا خجل، أفسدت اليتيم، وبلا خوف سلبت التاجر تجارته وشهواتي لم تشبع كنت كالقوس في الحرب وقتلت أبراراً وأشراً، كنت كعاصفة في البحر وأغرقت سفن الكثيرين. لماذا لم أكسب رجلاً واحداً ربما استطاع أن يقومني ويخلصني من الدنس. رجلاً واحداً هو من الله أما الكثيرون فمن الشيطان!

رددت هذه الأقوال في داخلها أولاً ثم بدأت تفنذها علانية فاغتسلت وأزالت من عينيها الأصباغ التي أعمتها، وأنهمرت الدموع فوق ألوان عينيها، خلعت من يديها زينة شبابها، ونزعت عن جسدها ثياب الخطيئة ووضعت في نفسها أن ترتدى رداء المصالحة. خرجت وألقت عن نفسها حذاء النجاسة ووجهت خطواتها لتسير في طريق النسر السماوي، ووضعت ذهبها في راحة يدها ورفعته في وجه السماء وبدأت تبكي في الخفاء لمن يسمع جهاراً! هذا يارب ما ربحته من شروري وبه سوف أشتري خلاص نفسي، ما جمعته من الأيتام سوف أكسب به رب الأيتام!.

كانت تلهج بهذه الأقوال ثم بدأت العمل جهاراً. حملت الذهب في كفها وحملت

(١) مترجمة عن :

الصندوق الأبنوس في يديها ثم ذهبت مسرعة في حزن إلى بائع العطور. رآها التاجر فتعجب ثم بدأ يسألها قائلاً أول ما بدأ حديثه : أما يكفيكى أيتها الزانية أنك أفسدتى مدينتنا؟ ماذا تقصدين بهذا الشكل الجديد الذى تظهرين به لعشاقك . لقد تركتى أسلوب الإغراء ولبستى زى الاتضاع! حتى الآن كلما كنتى تحضرين إلىى كان مظهرك مختلفاً عن مظهر اليوم . كنتى تلبسين أفخر الثياب ولا تحضرين إلا القليل من الذهب ، كنتى تطلبين أفخر الأطياب حتى تجعلى نجاستك جذابة للآخرين ، ولكن ماذا حدث اليوم لأن رداءك بسيط وأحضرت معك ذهباً كثيراً . أنا لست أفهم سر هذا التغيير؟! ولماذا هذا الشكل الجديد فإما أن ترتدى من الملابس ما يتفق مع قدرتك وإما أن تشتري من العطور ما يتناسب مع ثيابك لأن هذا العطر لا يتناسب ولا يتفق مع هذا الزى هل يمكن أن يكون أحد التجار لاقاك وأحضر لك ثروة عظيمة ثم وجدت أنه لا يجب فيك زى الدنس ، ومن أجل هذا تركت طريقك الشرير ولبست رداء الوداعة ، وهكذا بوسائلك المختلفة تستولى على ثروة عظيمة أما إذا كان يجب هذا الأسلوب لأنه رجل عفيف إذأ فالويل له ! لقد سقط في هوة لا قرار لها ، سقط في هوة تبتلع كل ما عنده من تجارة ولكن أقدم لك هذه النصيحة كرجل لا يسعى إلا لمصلحتك . يحسن بك أن تصرفى كل عشاقك الذين لم يقدموا لك معونة منذ أيام صباك ، وبالتالي تأخذين زوجاً واحداً يقوم اعوجاجك .

قال تاجر العطور أقواله هذه بحكمة للمرأة الزانية ، وبعد أن انتهى من حديثه أجابت المرأة الخاطئة وقالت : لا تعطلنى يا هذا ولا توقفنى بسبب تساؤلاتك لقد طلبت منك عطراً ليس بالمجان ، ولكنى سأدفع قيمته بلا تذر فإليك هذا الذهب وخذ منه ما شئت وأعطنى الطيب الثمين . خذ هذا الفانى وأعطنى ما يبقى ويدوم وسأذهب إليه إلى ذلك الحى إلى الأبد ! لكى أشتري منه ما لا يفنى !.

أما من كنت تتكلم عن (التاجر) فقد قابلنى اليوم رجلاً عنده ثراء واسع قد سلبنى وأنا أيضاً سلبته ، سلبنى كل تعدياتى وخطاياى أما أنا فقد سلبت غناه ، أما ما قلته عن الزوج فقد ربحت لى زوجاً فى السماء حيث يدوم ملكه إلى الأبد وينحل ملكوته ، وهكذا أخذت الطيب ثم مضت .

ومضت سريعاً ورآها الشيطان فغضب وامتلأ عقله بالحزن . ابتهج مرة ولكنه عاد فحزن عندما أخذت الطيب ، سر في عقله الباطن ولكن إذ كان رداءها بسيطاً كان يخشى من تصرفاتها فراققتها وتابعتها كما يقتفى اللص أثر التاجر ، أنصت إلى همسات شفيتها لكي يسمع صوت كلماتها ، كان يرقب عينيها عن قرب ليرى في أى اتجاه كانت نظراتها وبينما هو في الطريق لاحظ اتجاه خطواتها وأراد أن يعلم إلى أين المسير إنه الشيطان ملء بالدهاء والمكر . فمن كلماتنا يعرف هدفنا ولهذا أوصانا الله ألا نرفع أصواتنا دون قلوبنا عند الصلاة حتى لا يسمع الشيطان هذه الكلمات فيقترب منا ويحاربنا كخصم ، ولهذا عندما رأى الشيطان أنه لا يستطيع أن يغير رأيها ظهر في شكل رجل وجمع حوله جماعة من الشبان يشبهون عشاقها القدامى ثم وجه إليها الحديث : أيتها المرأة وحياتك قولي لى إلى أين أنتِ ذاهبة ؟ . وما معنى تعجلك لأنك تسرعين خطاكِ أكثر من الأيام الأخرى ، ما معنى وداعتك لأنكِ وديعة كالأمه ؟ وبدلاً من الثياب المصنوعة من الكتان النقى ما بالك تلبسين ثياباً خشنة ، وبدلاً من الحذاء الفاخر فى قدميكِ ها أنتِ تسيرين حافية القدمين . أكشفت لى عن سر أفعالك لأنى لا أستطيع أن أفهم هذا التغيير . هل مات أحد أحبائك وأنتِ فى طريقكِ لى تدفينه سندهب معكِ للجنزة وسوف نشاطرك أحزانك .

وبعد أن انتهى من حديثه أجابت المرأة الخاطئة وقالت حسناً قلت إنى سأذهب لأدفن ميتاً أدفن واحداً قد مات بالنسبة لى ، خطبة أفكارى قد ماتت وهى أنذا ذاهبة لى أدفنها ، وأجاب الشيطان على قولها بقوله : يا امرأة سأقول لكِ إلى أين أنتِ ذاهبة ، فأنا أول عشاقك ولن أكون على غرارك ولهذا أضع يدى عليكِ وأعطيكِ من جديد ذهباً أكثر مما سبق .

وعادت المرأة تقول لقد تعبت منك يا رجل ولم تعد تربطنى بك رابطة المحبة لقد ربحت لى زوجاً فى السماء ، إنه الله فوق الكل وسلطانه يدوم إلى الأبد ، ومملكه لا ينتهى ، إنى أعيد عليكِ هذه الكلمات وأقولها ثانية ولا أكذب كنت قبلاً خادمة للشيطان منذ نعومة أظفارى حتى اليوم ، كنت قنطرة يطأها بقدميه ، وحطمت الكثيرين ، طلاء العيون أعمى عينيَّ وكنت أنا عمياء وسط الكثيرين ممن أعميتهم ، كنت عمياء فلم أرَ أن هناك الواحد الذى يعطى البصر للعميان ؛ هانذا فى طريقى

لكى أنال النور لعيني وبهذا النور أضىء لكثيرين . كنت مكبله بالقيود وما كنت أعلم أن هناك ذلك الواحد الذى يحطم الأوثان هانذا فى طريقى لأحطم أوثانى وبالتالى أقضى على حماقات الكثيرين كنت جريحة ولم أكن أعلم أن هناك ذلك الواحد الذى يضمد الجروح وهانذا فى طريقى لكى أضمد هذه الجروح ! هكذا تحدثت الزانية بحكمة إلى الشيطان فأَن وتوجع وامتلاً قلبه بالحزن، وبكى وصرخ من أعماقه قائلاً لقد غلبتيني أيتها المرأة ولا أعرف ماذا سأصنع ؟.

ولما أدرك الشيطان أنه عاجز عن تغيير ذهنها أخذ يندب حظها العاثر هكذا قضى على كبريائى وفخر أيامى . كيف يمكننى أن أضع لها معثرة لأنها تصعد فى طريق مرتفع ؟ كيف أصيبها بسهامى بينما حصنها لا يتزعزع ؟ إذاً فلأذهب لها فى حضرة يسوع إنها على وشك الدخول وسوف أحدثه شاكياً هذه المرأة إنها زانية فرمما يرفضها ولا يستقبلها ، وسأقول له أيضاً هذه المرأة التى فى حضرتك هى امرأة نجسة ، وكم من الرجال أسرتهم بشرورها ، إنها فاسدة منذ شبابها . أما أنت يارب فبارك كل الناس يجتمعون لكى يعاينوك فإذا رأَت البشرية أنك تتحدث إلى زانية فسوف يهرب الجميع من حضرتك ولن يجيئك أحد منهم .

كانت هذه الخواطر التى دارت فى رأسه . ثم تغير تيار الفكر وقال كيف أدخل فى حضرة يسوع لأن الخفيات ظاهرة أمام عينيه ؟ إنه يعرف من أنا ويعرف أن أهدافى ليست صالحة ، وإذا وبخنى فقد قضى علىّ ، وضاعت كل حيلى . سأذهب إلى بيت سمعان لأن الخفيات ليست معلومة لديه وسأضع أفكارى فى قلبه وقد أصطاده بهذه الخيلة فسوف أقول له : يا سمعان قل لى هل هذا الرجل الذى يقيم فى بيتك رجل بار أم صديق الأشرار؟! أنا رجل ثرى وعندى من الممتلكات الكثير وأريد أن أدعوه حتى يأتى ويبارك مقتنياتى .

وأجاب سمعان ورد على الشيطان بهذه الكلمات من اليوم الذى رأيته فيه لأول مرة لم أر فيه شراً بل رأيته الهدوء والسلام ، والاتضاع والكياسة . يشفى الأمراض بلا جزاء ويعالج المصابين مجاناً ، يقف بجوار القبر ويدعو الموتى فيقومون . دعا يابرس (مر : ٥ : ٢٢) ليقم ابنته ويردها إلى الحياة مؤمناً أنه يستطيع ذلك ، وبينما كان معه

في الطريق شفى المرأة المريضة التي لمست طرف رداءه، وللوقت فارقتها الألم القاسى والمر الذى كانت تعاني منه. ذهب إلى البرية ورأى الجياع كيف يخجرون من المجاعة (متى ١٤ : ١٥) وجعلهم يجلسون على الحشائش وأطعمهم برحمته. في السفينة كان نائماً (مت ١٤ : ٢٤) وهاجت أمواج البحر على التلاميذ فنهض وانتهر الرياح وكان هدوء عظيم. الأرملة التي كانت تتبع ابنها الوحيد في الطريق إلى القبر (لوقا ٧ : ١١) عزاها ورد إليها ابنها، وملاً قلبها بالبهجة والفرح.

رجل أعمى كان صوته كفيلاً بأن يجلب له الصفاء (مت ١٢ : ٢٢).

طهر البصرى بكلمته ورد القوة إلى أطراف المفلوج (مت ٩ : ٢) الرجل الأعمى المتعب المتضايق أعطاه البصر فرأى النور (يو ٩ : ١) كذا الإثنين اللذين سعيا إليه وطلبا منه فتح أعينهما في الحال (مت ٢٠ : ٣٠) وهكذا سمعت أنا عن شهرته العريضة ودعوته لكى يبارك مقتنياتى ويبارك قطعانى.

أجابه الشيطان قائلاً : لا تمدح إنساناً في بدايته بل تمهل حتى ترى نهايته، هذا الرجل عاقل، لا تسر روحه بالخمر، إذا خرج من بيتك لا يمكن أن يتحدث إلى زانية. إذا فهو رجل بار وليس صديقاً للأشرار.

هذه الأفكار قدمها الشيطان بمكر إلى سمعان ثم وقف بعيداً يرقب ما يحدث.

وأنت المرأة الخاطئة مثقلة بتعدياتهم وتعلقت بالباب، وضمت يديها في ضراعة وتحدثت في توسل: أيها الابن المبارك الذى نزل إلى الأرض من أجل خلاص الإنسان، لا تغلق بابك في وجهى لأنك دعوتنى، وهانذا قد أتيت. أنا أعلم أنك لم ترفضنى، ربى افتح لى باب رحمتك حتى أدخل، ولكى أجد ملجأً فيك من الشرير وكل قواته! كنت عصفوراً وكان الصقر يطاردنى ولكنى هربت ووجدت لى مأوى في شبكتك. كنت عجلة صغيرة وأثقل النير ظهري وسوف ألقى بهمومى إليك. دعنى أضع على كتفى نيرك وأسير مع قطعك.

كانت الزانية تردد هذه الكلمات وهى باكية عند الباب عندما نظر صاحب الدار إليها ورآها تغيرت.. بدأ يوجه إليها الخطاب فاستهل حديثه قائلاً اذهبى بعيداً أيتها

الزانية لأن صاحب هذا البيت رجل بار وكل رفقائه بلا لوم ألم يكفيك أيتها الزانية ما أشعته من فساد في المدينة كلها؟ لقد نجست الأبرياء الأطهار بلا خجل، سلبتي الأيتام بلا حياء، وقضيت على ثروات التجار ولم تخجلى. فمن هذا الرجل لن ينال قلبك شيئاً ومهما ألقيت شباكك فلن تحصلى على شيء لأن هذا الرجل بار حقاً وكل الذين يحيطون به بلا لوم.

ولم يكذ سمعان يتوقف حتى أجابته المرأة: لاشك أنك حارس الباب وأنت تعرف الكثير من الأسرار، سوف أعرض أمرى في الوليمة دون أن تلقى عليك تبعة ذلك وإذا سمح لى أن أدخل سوف يأمر فأدخل.

وجرى سمعان وأغلق الباب ثم اقترب ووقف من بعيد وتباطأ ولم يعرض الموضوع في الوليمة، ولكن العارف بالخطايا أوماً إلى سمعان قائلاً: تعال هنا يا سمعان هل هنا من يقف بالباب؟ أيا كان هذا الإنسان افتح له ودعه يدخل، دعه يأخذ ما يحتاج إليه ثم يمضى. إن كان جائعاً وجوعه للخبز ففى بيتك مائدة الحياة، وإن كان عطشاناً وعطشه إلى الماء فالينبوع المبارك فى بيتك، وإن كان مريضاً يطلب الشفاء فهوذا الطبيب الحقيقى. ترفق بالخطاة واسمح لهم أن يأتوا إلىّ لأنى من أجلهم وضعت ذاتى. لن أصعد إلى السماء المكان الذى أتيت منه حتى أحمل الخروف الذى ضل من بيت الآب وأرفعه على كتفى، أنقله عالياً إلى السماء!

فأجاب سمعان وقال ليسوع: ربي هذه المرأة التى تقف بالباب زانية نجسة، وليست حرة إنها فاسدة منذ طفولتها وأنت يارب رجل بار والكل مشتاق أن يراك فإذا رأوك تتحدث إلى زانية فسوف يتبدد الناس من حوالبك ولن يرحب أحد منهم.

أجاب يسوع: مهما كان هذا الإنسان افتح له ودعه يدخل ولا لوم عليك، ومهما كثرت خطاياهم أمرك أن تقبله دون لوم أو توبيخ.

واقترب سمعان من الباب، وفتحته وهو يقول: تعالى أدخلى، وافعلى ما تريدن معه، ذاك الذى يماثلك. تقدمت المرأة الخاطئة مثقلة بالخطايا ووقفت عند قدميه، وأمسكت بذراعيها فى ضراعة وهى تقول: صارت عينى مجارى للدموع التى لا تكف عن رى الحقول، واليوم قدمى لذلك الذى يفتش عن الخطاة، هذا الشعر الكثيف فى

خصلاته أرجو ألا يضايقك حين يمسح جسدك المقدس ، هذا الفم الذى قبل الزناة لا ترده عن تقبيل الجسد الذى يرفع الخطايا والآثام .

قالت كلماتها للرب يسوع بينما يتهدج صوتها بالبكاء ، وتحنقه العبرات الغزيرة ، بينما وقف سمعان من على بعد يتأمل ويرقب ما سيفعله بها ، لكن الذى يعرف ما يدور فى السرائر أوماً إلى سمعان وقال له : اسمع ما أقوله لك يا سمعان فيم تفكر بالنسبة لهذه الزانية ، عقلك يتصور ، وروحك تخالجه الأفكار : لقد لقبت هذا الرجل بالبار ولكن ها هى الزانية تقبله ، لقد دعوته لكى يبارك مقتنياتك ولكن ها هى الزانية تعانقه ...

يا سمعان كان لدائن مدينان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون ولما رأى الدائن أن أحداً منهما لا يستطيع أن يوفى ما عليه ساعهما كليهما وتنازل بما له . فمن منهما يقدم له شكراً أكثر؟ هل الذى ساعه بالخمسمائة أم الذى ساعه بالخمسون؟ فأجاب سمعان وقال الذى ساعه بالأكثر . فأجابه يسوع قائلاً أنت هو المدين بالخمسين وهذه المرأة مدينة بالخمسمائة لقد دخلت بيتك يا سمعان وماء لرجلى لم تعط ولكن هذه المرأة التى تقول عنها أنها زانية وأنها منذ طفولتها ساقطة ودنسة قد غسلت قدمى بدموعها ومسحتها بشعر رأسها . فهل يليق بى أن أطردها يا سمعان دون أن تنال الغفران؟ . الحق الحق أقول لك إن اسمها سيكتب فى الإنجيل .. اذهبى يا امرأة مغفورة لك خطاياك ، وسترت كل آثامك الآن وإلى نهاية العالم .

نسأل الله أن يحسبنا مستحقين لسمع هذه الكلمة : تعالوا أدخلوا يا مباركى أبى ، رثوا الملك المعد لكل الذين يعملون إرادتى ويحفظوا وصاياى ، وليرحمنا فى كل زمان .

الذى له المجد الدائم إلى الأبد آمين .

صلاة للقديس (١)

لك المجد أيها المحتمل ، لك السبح أيها المتمهل ، لك المجد أيها (١) المتأنى على الناس ، لك السبح أيها المتعطف على البشر، لك المجد يا من نزلت من السماء لتخلص نفوسنا لك السبح أيها الصالح ، لك المجد أيها المحسن إلى النفوس ، لك السبح أيها المغذى جميع الأمم وكل الطبيعة البشرية بدون عناء ، لك المجد يا من تقيت كافة الطيور والأسماك والوحوش والدواب وكل البرية مثل عصفور. لك السبح أيها المشرق شمس على الأخيار والأشرار والمطر خيراته على الصالحين والظالمين لأن قدرتك عظيمة ورأفتك سابعة على جميع الممالك . أيها السيد أسجد لك وأباركك وأعترف لك وأسبحك أيها القدوس وأمجذك وأحمدك أيها الرحوم لأنك أنت هو الوحيد سيد الكل البار وحدك ، من أجل أنى أنا الخاطيء أسلمت ذاتك إلى الموت لتعتق نفسى من قيود الخطية فبماذا أجازيك أيها السيد إلا بشكرى إياك . آمين .

(١) عن ميمر «٢» المخطوطة ٢٠٠ ميامر . دير السريان وكتاب أمام عرش النعمة ص ٧٣ .

الفصل الثامن:

مخافة الله

مخافة الرب رأس المعرفة أما الجاهلون فيحتقرون

(أم ١: ٧)

الحكمة والأدب

رأس الحكمة مخافة الله ..
من يؤمن بابن الله له حياة دائمة ، ولا تتعرقل خطواته ..

من يؤمن بابن الله تجرى من بطنه أنهار ماء حتى ..

+ مخافة الله تكثر المعرفة في قلب الإنسان والعمل يحقق العلم ..

+ الكور يختبر الفضة والذهب ويصفيهما وتقوى الرب تهذب الإنسان وتنقيها ،
الصائغ بالسنديان يصنع سبائك حسنة . كذلك مخافة الله تنظف القلب من كل فكر
شرير فلنعت مجداً لمن منحنا مخافته لأنه هو الذى أعطى الإنسان علماً ومعرفة ..

الحكيم يحفظ وصايا المسيح ومن يسلك بها لا يجزى إلى الأبد ، ومن يهملها فهو
جاهل ورجاؤه باطل .

+ من يعمل بوصاياهم فقد انتقل من الموت إلى الحياة ، ولا يعاين الظلمة إلى الأبد
بل ويصير وارثاً للحياة الخالدة ، إنه مغبوط لأنه يصنع مشيئة خالقه ..

+ ليس المكان يجعل الإنسان تاماً لكن الإفراز ..

اتق الرب فتجد نعمة لأن مخافة الله تأتي بنا إلى الفضائل ..

+ مخافة الرب ينبوع الحياة ، عقلاً عاقلاً ، صيانة للنفس .. مخافة الرب تضىء
النفس وتديرها .. مخافة الرب تنمى المحبة وتذيب الشر .. مخافة الرب تقطع كل شهوة
ردية وتبعد الخطيئة .. مخافة الرب تملأ النفس من الروح القدس ، وتعطيها لواء ملك
السموات ..

ليس أعظم قدراً من خشية الرب ، فالذى يتقى الرب يشبه مدينة حصينة موضوعة
فوق الجبل ، ونوراً يرشد الآخرين ..

اتق الرب فينقذك في اليوم الشرير ..

+ الملك الحكيم يهتم بموانئ البحر ، وذو الفهم لا يتوانى في حدود أملاكه ،
وكلاهما يصلحان للملك لكثرة خبراتهما ويقظتهما ..

+ أصبر أيها الأخ واسمع الكتب الإلهية لكيما تنتفع لأنه كما في الحر يشتاقي

الإنسان إلى كأس ماء بارد هكذا الأقوال الإلهية تكون بمثابة الندى البارد للنفس فإن كنت لا تحتمل سماع الكلام فكم بالحري العمل بذلك الكلام الإلهي ، ومن هنا تدرك أنك متوان !.

+ إذا وقفت للصلاة اعرف بين يدي من أنت مائلاً؟! ولتكن نفسك وقلبك كله ناظراً إلى الله.. لأنه إذا أخذ إنسان بيده دراهم ومضى إلى السوق ليبتاع بقرأ هل ينشغل بالخنازير؟. أليس كل فكره في الأشياء التي جاء لأجلها إلى السوق!.

+ لا تعط الشاب الجموح دالة ولا تطلق شيخاً أن يفعل أفعالاً غير واجبة .

+ المخافة والتواضع والمحبة تعلق رأس الناسك وعند نياحته يضيء مشرقاً .

خشية الرب تجعل الشباب شيوخاً .. مثل صموئيل النبي فإنه أرضى الله وأفاد الناس ، أما الذين عدموا التقوى سقطوا..

+ توان قليل ينتج خطيئة عظيمة . ويقظة يسيرة تسترد خسارة كبيرة .

+ بماذا يقوم الشاب طريقه بحفظه إياه أقوالك !

بهذا يجب أن يسلك الذي مع الأخوة أن يقتنى مخافة الله والعفة التي منها تتولد المحبة والفرح والسلام والطاعة وطول الروح والصبر وما يليق بالمسيحيين ، ويكون سريعاً إلى الاستماع بنطياً عند التكلم ، مبتعداً عن الغضب لأن غضب الإنسان لا يصنع عدل الله ، سامعاً وبصيراً بالأمر النافعة والغير فانية ..

+ لا تقل اليوم أخطيء وغداً أتوب ، فالיום هو لك أما الغد فلست تدري لمن يكون!؟.

+ اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم (يع ٤ : ١٦) .

طوبى للنفس التي تسكن فيها خشية الله ، من لا يخدم سيده واحد سيخدم كثيرين . ومن لا يخضع لرأس واحد سيخضع لكثيرين ، ومن لا يثبت في صناعة واحدة سيهتم بأعمال كثيرة ..

فالويل لمن ليس له الإيمان ، والتقوى ، والمعرفة ..

+ إن لم تزرع فلا تقلع ما هو مغروس ، وإن لم تصمت فلا تضاد الصامتين ، وإن لم تسيح الرب فلا تبطل الذين يسبحون الرب .

الغنى إذا تكلم يصمت له الجميع ، فكم بالحري الله الذى يخاطبنا فى الكتب المقدسة .. الطوبى للإنسان الذى يبدأ بسيرة حسنة ويكملها بمخافة الله .

+ يوجد أناس كنزوا لهم أموالاً أما أنت فكنز لك صلوات وصدقات .. البعض يفرح بالأغاني الموسيقية ، أما أنت فافرح بالترنيم والتسبيح للرب . آخرون يسرون بالبطر والسكر ، أما أنت فتمسك بالنسك والقداسة . وآخرون يبتهجون باللذات ، أما أنت فافرح إذا صنعت مشيئة الرب . آخرون يسرون بالمجد الباطل ، أما أنت فابتهج بالرب الذى أعد إكليل المجد للذين يحبونه .

الإنسان المحب للمسيح هو برج مصون والكامل المحبة هو سور ضخم لا ينقب ..
+ أحب مخافة الله من كل نفسك وهى تشفى جراحاتك .. لأنه بقدر ما تحب نفسك تقوى الله لا تقع فى فخ العدو، بل تكون من النسر الطائر إلى العلو..

+ لنهتم بوقت الانتقال ونمقت الأمور الأرضية التى لا تنفعنا بشيء وقتئذ إذ لا يسافر الأب مع ابنه أو الأم مع ابنتها .. بل عمل كل واحد . فلنقدم أعمالاً صالحة حتى يستقبلونا بها فى مدينة القديسين ..

+ لا تؤجل التوبة ولا تصادق من ليس له خشية الله ، ولا تتسابق مع المتهاونين بخلاصهم فالمعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة، ويقول أيضاً يا ابنى احفظ مشورتى ولا تتركها .

الجهاد قليل والأجر لا يوصف .. فلنكثر فى عمل الرب بكل قلبنا وقوتنا مادام لنا وقت .. فالطوبى للإنسان المتقى الرب إذ سيأخذ الإكليل الذى أعده للذين يحبونه ..

+ مغبوط الإنسان الذى لديه مخافة الله فإنه يطوب من الروح القدس جهاراً، والمتقى الرب بالحقيقة يكون بعيداً عن جميع حيل العدو، بل ويغلب بسهولة كافة مكائده الرديئة لأنه لا يكون أسيراً لشيء ما .

من أجل التقوى لا يقبل لذة الجسد وشهواته لأنه ينتظر سيده لئلا يأتى بغتة فيجده

متوانياً بل يسهر منتظراً مجيئه !.

الخائف الله لا يكون بطالاً بل يهتم كل حين بروحانيته ويكون مستعداً لكي
يدحه الرب عند مجيئه .

أما غير الخائف الله فيكون سريع الاضطهاد لمكائد العدو.. يتوانى في أعماله يكتنز
لشهواته ولذاته، يسر بالراحة، يرفض الاتضاع ويصافح الكبرياء فعندما يجيء سيده
يرسله إلى الظلمة الأبدية ..

+ لتكن خشية الله في قلبك أيها الحبيب مثل السلاح بيد الجندي .

صلاة للقديس

لك السبح أيها المشرق شمس على الأخيار والأشرار والمطر خيراته على الصالحين
والأشرار لأن قدرتك عظيمة ورأفتك سابعة على جميع الممالك .

أيها السيد أسجد لك وأباركك وأعترف لك وأسبحك أيها القدوس وأمجّدك
وأشكرك أيها الرحوم، لأنك أنت هو سيد الكل البار وحدك .

من أجل أنا الخاطيء أسلمت ذاتك للموت لتعتق نفسي من قيود الخطية .. لك
المجد المتعطف والطويل الأناة، لك المجد يا محب البشر !

لك السبح أيها الجالس عن يمين الآب والذي ستأتي في مجد أبيض وملائكتك
المقدسين لتدين كل إنسان بالعدل .

في تلك الساعة استرني تحت أجنحة نعمتك ونج نفسي من العذاب الأبدى السبح
لك والشكر لصلاحك والسجود لتحننك والبركة لرأفتك .

إنه لا يوجد رؤوف ولا رحيم مثلك يا محب البشر ..

اللهم ارحمني كعظيم رحمتك . أتوسل إليك أن تعرض وجهك عن آثامي لأن لك
تسبح كافة الأجناد السمائية .

ولك الملك والعزة والسجود إلى الأبد آمين

الفصل التاسع :

محبة الله

الله محبة (ايوه : ٨)

+ حب الله من كل نفسك كما أحبك هو ، صر هيكلًا لله فيسكن فيك الإله العلى فإن النفس الحاوية لله هي في ذاتها هيكلًا مقدسًا لله ..

+ عندما يسكن الرب في النفس فالملائكة السمايين يفرحون بها ويحرصون على وقارها لأنها هيكلًا لسيدهم .

+ مغبوط هو الإنسان الذى أحبك من كل قلبه ومقت العالم والأشياء التى فيه ليقتنيك وحدك أيها الإله كنز الحياة .. فمن أحب الله حباً صافياً وذهنه في العلاء فهناك يستضىء ويشبع من محبة الله ، لأن محبة الله بالحقيقة مملوءة سروراً وحلاوة ومغبوط بالحقيقة من ذاقها .

+ من يستطيع أن يصف حلاوة محبة الله !؟

فبولس الرسول يقول : لا العلو الذى فوق ولا العمق الذى أسفل ولا هذه الحياة نفسها ولا الموت المنتظر ولا جماعة الملائكة والرؤساء والسلطين ولا خليفة أخرى تستطيع أن تفصل النفس عن محبة الله .

+ محبة الله في النفس المشتاقة إليه تجعل حواسها متألثة الضياء فتجعلها تبغض الأرضيات لتعابن الله الذى أحبته . والشهداء والقديسون الذين ذاقوا محبة الله يعلموننا أنه لا يمكن للسيف ذى الحدين أن يقطعها !

الأمراء قطعوا الشهداء أما محبتهم لله فلن يستطيعوا أن يقطعوها .. محبة الله لا يقطعها سيف ولا تطفئها نار .. حرقوا الأعضاء أما المحبة فلم يفكوها .

+ هذه المحبة أعطاها السيد المسيح لكنيسته لتتزين دائماً بالمحبة لأنها عربون الله للنفس .

+ المحبة عمود قاعدة راسخة في النفس .

+ هذه المحبة أنزلت الابن الوحيد إلينا ، فقد تأنس الإله فشاهدنا من لا يُرى وبهذه المحبة فُتح باب الفردوس .. بهذه المحبة صارت النفس عروساً للختن الذى لا يموت .. من أجل هذه المحبة تألم الذى لا يتألم ..

لقد كنت غير مائت فحوكمت من أجلكم . كنت بلا خطية فلطمت لأجلكم ،
صُلبت لأجلكم واستهزئ بي .. احتملت كل الأشياء لأجلكم وأنتم ماذا احتملتم
لأجلى؟!

+ قال الرب : « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطى
فداء عن نفسه » .

الإنسان أفضل من كافة العالم ومملكه وأمواله .. لأن الله لم يسر بالخلقية أن
تشاركه وتتحد بطبيعته لا السماء ولا الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا البحر ولا شيئاً
آخر إلا بالإنسان الذى أحبه أكثر من جميعها .. لأن هذه الأشياء جميعها تستبدل بالحياة
الأبدية .

+ المحبة الحقيقية التى تحب بها الله تقطع كسيف ذى حدين كل محبة أخرى
للعالم ولا يستطيع أى شىء من هذه الأرضيات أن يمسك تلك النفس لا شرف ولا
شهوة ولا ثروة ولا أى رباط بشرى ... فالنفس التى تحب الله وحده لا تحب معه شيئاً
آخر من هذا العالم . فمخبتها كلها متعلقة بمشيئة الله وحده التى تغلب كل محبة
أخرى !.

+ الإنسان يحتاج أن يحب الله بكل القلب والطاقة والقوة .. ويصلب نفسه وجسده
في وصاياه المقدسة بلا انقطاع ليستطيع أن ينال الحياة الأبدية ، التى وعد بها محبيه .

+ النفس التى أحبت الله واشتتهت أن ترثه تحسب كل هذه الأشياء حقيرة لأن
ألف سنة في هذا العالم تحسب مثل حبة واحدة من كافة رمل البحر بالنسبة للملكة
السموات التى لا يعبر عنها ولا توصف ..

+ قيل ماذا يفصلنا عن محبة المسيح أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عطش أم
سيف؟! كلا لا شىء يفصلنا عن محبة المسيح ..

+ إن الرسول يقول من لا يحب أخاه الذى يبصره كيف يجب الله الذى لم
يبصره . ويقول أريكم أيضاً طريقاً أفضل جداً ..

إن كنت أتكلّم بالسنة الناس والملائكة وليست لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو

صنجاً يرن . وإن عرفت كافة الأسرار.. وإن كان لى إيمان حتى أنقل الجبال وليس لى
محبة فلست شيئاً !

إن أطعمت جميع أموالى وإن أحرقت جسدى وليست لى محبة فلست أنتفع شيئاً !.

المحبة تتأنى وترفق ، المحبة لا تحسد ، ولا تغار ، ولا تفتخر ، ولا تطلب ما
لنفسها ولا تحتد ولا تفكر بالسوء ولا تسعر بالظلم ، تفرح بالحق تحتل كل شىء .
ترجو كل شىء . تصبر على كل شىء . المحبة لا تسقط أبداً .

أيها الحبيب ها قد سمعت عن قوة المحبة فاقتنها فى كل أعمالك ليكون لك مديحاً
من الله .

+ أتشاء أن تحب مخلصنا يسوع المسيح ، امقت المحبة البشرية .. نهم البطن ،
السكر ، الكلمات الرديئة ، الجسد والشر ، أمثال هذه التى نهايتها الموت ..

+ كن كثير المحبة للجميع ولا تحجل من نفسك فرب تحجل يجب خطيئة ، وحياء
يجلب شرفاً ونعمة . كن مصالحاً للجميع لتؤهل أن تدعى ابناً لله !.

يقول سفر التكوين (١) « فخدمه يعقوب براحيل سبع سنين وكانت عنده كأيام
يسيرة من محبته لها » (تك ٢٩ : ٢٠) .

لقد علمنا الكتاب بذلك أن من أحب شيئاً يصير التعب الذى يتعبه من أجله
سهلاً عليه ، فإن كانت محبة الله فى قلوبنا فإنها تجعل تعب وصاياه سهلاً لدينا وبثلاثة
أشياء تكثر محبة الله فىنا :

أولاً : مداومة قراءة كتب الله المقدسة ، إذ بها يتخشع القلب دائماً ويخاف الله
ويعرف وصاياه المقدسة .

ثانياً : يحفظ وصاياه ويعمل بها جميعها .

ثالثاً : نقاوة القلب والصلاة المستمرة بلا فتور ..

(١) عن تفسير سفر التكوين لمارأفرام السريانى .

فإذا لازمنا هذه الثلاث تمت فينا محبة الله المستمرة وسهل علينا تعب وصاياه كما
أن محبة راحيل جعلت التعب سهلاً على يعقوب، فكانت راحيل مثال المحبة .
من كثرت محبة الله في قلبه يستلذ العمل بوصاياه ويذوق الحلاوة في عمله كما
يذوق الجسد حلاوة لذاته الجسدانية الفانية ..

وكما لم يصل يعقوب إلى راحيل حتى كمل هذين الأسبوعين كذلك لا يصل
الإنسان إلى محبة الله وعدم الأوجاع إلا بترك كل شر بالتمام، وعمل كل البر
بالكمال وبنعمة الروح القدس يصل إلى محبة الله .

صلاة للقديس

إنك إله متعطف ومحب للبشر . من أجلنا نحن الأرضيين صرت إنساناً لتصيرنا
سمائيين . أنت غير المرئي من أجلنا شوهدت ومشيت على الأرض كالbشر . من أجلنا
جلدت ، وبصق على وجهك .. من أجلنا لطمت ، ومن أجلنا صلبت . من أجلنا سقيت
خلاً ، ومن أجلنا طعنت فيماذا نكافئك بدل هذه . إنك إله صالح جزيل المرحم
وينبوع كافة الخيرات . بماذا نكافئك أيها الإله القدوس الصالح الذي أحبنا مجاناً .
أنت أيها السيد المهتم بأمرنا منذ القدم بمحبتك الفائقة لنا نحن الخطاة . أنت الإله
الرؤوف المتحنن المملوء مراحم . طويل الأناة جزيل الإحسان ، كثير الإمهال شفوق ،
يتأني ، يغفر كل حين خطايانا إن قرعنا بابه .

هلموا نسجد معاً أمام عزته ونسبح عظمته ، ونبارك محبته . أيها السيد لقد أرويت
عبدك من محبتك كما من شحم ودسم .. أيها السيد من يستطيع أن يشبع منك إذا
أحبك !

فليتقد قلبي بلهيب محبتك كالنار المتقدة ولتحرق أفكارى الشريرة . أعطني الآن
بسخاء وبلا عدد كما يليق بالإله المعطى الإنسان . امتحننى ما يليق لك يا ملك الملوك
الصالح .. بل أسألك لا تجازينى حسب أعمال بل خلصنى بنعمتك ولا ترد وجهك
عنى لأجل كثرة خطاياى بل كعظيم رحمتك .

فإنك مبارك إلى الأبد آمين .

الفصل العاشر:

الاتضاع

تعلموا مني فأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة
لنفوسكم (مت ١١: ٢٩)

كما ابتداء الصالحات وكما لها هو الاتضاع هكذا ابتداء الشرور ونهايتها هو الكبرياء .

فكل تقشف وكل طاعة ، وكل فقر اختياري ، وكل علم إن كان ينقصها الاتضاع فهي باطلة ..

الحكيم يتكبر بحكمته والقوى بقوته ، والغنى بثروته ، والحسن الجمال بجماله .. وهكذا الشرير لا يفتر عن تجربة الروحانيين فالمطيع يجعله يتعظم بطاعته ، والناسك بنسكه ، والصامت بصمته ، والمتضع باتضاعه ، والعالم بعلمه ، أما المعرفة الحقيقية فهي المقترنة بالاتضاع !.

+ إن يزرع الزوان في الكل ولذلك رب المجد أعطانا سلاحاً ضده وهو الاتضاع قائلاً « إذا عملتم كل البر فقولوا إننا عبيد بطلون » وبولس الرسول يقول « ليس من يمدح نفسه هو المزكى بل من يمدحه الرب » (رو ١٠ : ١٨) فإن كنا نتعبد في الخدمة فلا نتعظم على الصامتين لأن الرب قد مدح مريم أكثر من مرثا لأنها اختارت النصيب الصالح الذي لا ينزع منها ..

وإن كنا صامتين يجب ألا نترفع على المتعبد في الخدمة لأن الرب يعلمنا قائلاً « ما جئت لأخدم بل لأخدم وأبذل نفسي فدية عن كثيرين » .

وإن جلسنا في مكان هادئ ماذا ينفعنا ذلك المكان إن لم نعمل في اتضاع ! وبولس الرسول يقول « غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى لأنها وقتية أما التي لا ترى فأبدية » . لذلك لا تجعل الفضيلة تكون سبباً في سقطة الكبرياء !.

+ إن كنت غنياً فإنك لم تبلغ غنى ابراهيم أب الآباء الذي جعل ذاته تراباً ورماداً . وإن أوكل إليك الاهتمام بشعب فموسى النبي كان رئيساً لشعب كثيرة .. بل وصار مناجياً لك ومعانياً مجد الرب ، فلم يترفع عليه ولم يتوان عن التواضع قط إذ شهد عنه الكتاب المقدس قائلاً « وكان موسى وديعاً جداً أكثر من كافة الناس الموجودين على الأرض » .

وإن كنت ذا قوة وبأس ولا بأس التاج ، فإنك لم تبلغ عظمة داود الملك الذي

وضع ذاته قائلاً «أنا دودة حقيرة ولست إنساناً» .

وإن كنت ذا نسك وحكمة فإنك لم تبلغ الثلاثة فتيه ودانيال النبي . إذ ابتهلوا
بنفس منسحقة وروح متواضعة !

فإن كان الصديقون لهم هذا التواضع ، فكم يليق بنا نحن الخطاة ؟!

إن من يترفع يكون سالكاً بالجسد كما يقول بولس الرسول إن كنتم تعيشون
بالجسد فستموتون وإن كنتم تميّتون أعمال الجسد فستحيون .

+ كم من مصاعب احتملها بولس الرسول إذ قال لأهل كورنثوس : في الأتعاب
أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مراراً كثيرة... إلخ
(٢كو ١١) . إنه بعد أتعاب كثيرة ومصاعب وفيرة يقول في اتضاع «إني ما أحتسب
ذاتي قد أخذت شيئاً..» ليبعد عنه أفكار الكبرياء لأن من يتشامخ يشبه من يعير الله
بفضائله !.

+ الرب له المجد لم يعلمنا الاتضاع بالأقوال فقط بل بالأعمال إذ اثتزر بمتزر
وغسل أرجل تلاميذه وقال لهم «تعلموا مني فأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة
لنفوسكم» .

+ إن جاءتك أفكار العدو فالأحرى بك أن تقول لذاتك :

من أنت ؟ وإلى أي حد وصلت ؟ هل أنت إيليا ؟! وهل صنعت معجزات مثله ؟
إذ بصلاته أغلق السماء فلم تمطر ثلاث سنين وستة أشهر وبصلاته أيضاً أعطت
السماء مطراً ! وأيضاً أحدر من السماء ثلاث مرات ناراً .. وإن كنت قد اقتنيت الإيمان
فأقم بصلاتك الموتى ، وفتح أعين العميان ، أطرده الشياطين لأنه قد قال «إن من يؤمن
بى يعمل الأعمال التي صنعتها أنا وأعظم منها» وإن قال أحد ما إذا لم نعمل تلك
المعجزات فهل ليس لنا رجاء في خلاصنا ؟ فنقول لنا رجاء في الخلاص إن اعترفنا
بضعفنا ، لأن الضعيف يلتمس رحمة وليس تعظماً !

إن كنا نطلب الرحمة فنحتاج إلى الاتضاع ، وبهذا الاتضاع تكون لنا مراحم الله .
لأنه قد كتب : «في تواضعنا ذكرنا الرب وخلصنا من أعدائنا» و «اتضعت

فخلصنى .» .

بالكبرياء نستند على الرياح وبه نزج بأنفسنا إلى اللجة ، فلا تقبل مرض الكبرياء
لئلا يسرقك العدو، وتيقظ من تعالى أفكار الاعتداد بالذات لأنه بذلك تربط شبكة
على رجلك .

+ بالتواضع اغسل ذهنك ونظفه من السم القاتل مثل الذى يكسب بيته فإنه
ينحنى إلى الأرض وينظفها ، فكم بالحرى نحتاج أن ننحنى باهتمام كبير واتضاع
أكثر لأجل تنظيف نفسنا !.

+ لا تترك داخلك الأشياء التى يرذلها الله لأن النفس المتواضعة يسكن فيها الآب
والابن والروح القدس لأنه مكتوب «أية شركة للبر مع الإثم أو أية خلطة للنور مع
الظلمة» .

فلنهرب من الكبرياء التى يبغضها الرب ونحب تواضع العقل الذى به أرضى
الرب كافة الصديقين لأن قربان عظيم ، ومجد وكرامة لكل من اقتناه فاستعلاء العقل
دين الفريسي ، وبالاتضاع تبرر العشار. ولتضرع إلى الرب أن يؤهلنا للميراث مع
الودعاء الأبرار فى ملكوت السموات ..

+ من يشاء أن ينقل صخرة فإنه يضع العتلة تحتها لا فوقها وحينئذ يدرجها بسهولة
وهذا نموذج الاتضاع !

+ نحن فى جفاف من البر دائماً لعدم الاتضاع والتأديب ، فلا نجيد تحريك
المقذاف وندبر !

+ فى الإنسان المتواضع تستريح روح الحكمة !

+ إذا ظهرت فى أعين أخوتك كالذهب النقى فاحتسب نفسك مثل إناء لا يحتاج
إليه فضلت من الكبرياء الممقوتة من الله والناس !

+ لا يكن وجهك فقط مطرقاً إلى الأرض بل وقلبك أيضاً !

+ إن رأيت إنساناً قد نال رتبة عالية على الأرض فلا تعجب من هذا بل تعجب

من الذى يبغض الشرف الأرضى !.

+ المتكبر مثل شجرة مرتفعة وبهية ولا ثمر فيها .. والحسود مثل ثمر بهى من ظاهره وتالف فى داخله !.

صلاة للقديس

أيها الإله القدوس أسأل تعطفك أن تجعل حارساً لى لى وخاتماً لى لى لى لا أسقط فى حفرتهما ..

إلهى وسيدى أنت قلت بكلامك تتبرر وبكلامك تدان فاعطنى أيها المتحن أن أبصر هفواتى ولا أدين أخى ..

ربى أعطنى قلباً متواضعاً محباً للطاعة وتأديب الأب .

ابعد عنى روح الكبرياء والكسل والانتقاد واللجاجة ..

هبنى روح العفة والشكر والتسامح والتواضع والخضوع والطاعة والصبر والاحتمال بحسب مسرتك .

أيها الإله القدوس أعترف لك وأحمدك لأنك لم تعرض عن ابتهالى إذ أنت رجاء البائسين وعزاء الخزانى .

عندما يحظر بذهنى الخيرات التى أعددتها للصديقين أجد أنى لم أصنع صلاحاً . إن ذلك العشار كان واقفاً قارحاً صدره متضرهاً اللهم اغفر لى أنا الخاطيء .. ربى أعطنى شوقاً لخلاصك .. امنحنى حلة نقيه لأستحق أن أتكىء مع مدعوى عرسك ولتسترنى رأفاتك ياربى من تلك الدينونة المخيفة ..

امنحنى أن نتجر بالوزنة التى أعطيتنا إيها .. وأن نسهر ونستيقظ لاستقبالك بمنطقين أذهاننا ماسكين مصابيح أنفسنا العقلية منتظرين إياك يا مخلصنا يسوع المسيح . الذى لك البركة والسجود إلى الأبد .

الفصل الحادى عشر:

الجهاد الروحى

« جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعى حفظت
الإيمان وأخيراً قد وضع لى إكليل البر »

(٢تى ٤)

إن أراد أحد أن يمضى إلى مدينة مسافتها خمسون غلوة ، فإن سار تسعة وأربعون غلوة وتبقى غلوة واحدة ، هل يقول إنه وصل هذه المدينة ؟ لقد ترك أهله ووطنه ولم يصل هذه المدينة !.

وربنا يسوع المسيح يقول من يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص ، وقال أيضاً من يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء لا يصلح للكهوت السموات .. لأن امرأة لوط حين التفتت إلى الوراء صارت عمود ملح .

وبولس الرسول يقول أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام ..

اصبر أيها الحبيب فإن هذا العالم سيمضى وشهوته تزول أما من يصنع مشيئة الله فإنه يثبت إلى الأبد . لأننا غرباء في هذا العالم .

+ إن الحكمة تقول باطل الأباطيل الكل باطل .. إن أتعابى فى الباطل يرثها بعدى آخرين وأعطى عنها حساباً .. لذلك يجب أن تكون أتعابى للإله الصالح الواهب الحياة ، ومعطى ما لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه ..

هناك تكون فى حضن ابراهيم مع أليعازر إن صبرت على الأحران واخترت المسكنة واحتملت التعير ، حيث يهرب الحزن والوجع والتنهد وتعابن الحياة والنور الذى لربنا يسوع المسيح فادى نفوسنا ، وفرح وسرور لا ينزعه أحداً منك إلى الأبد .

+أيها الحبيب إن زهدت العالم وصرت عابداً للرب فتيقظ لأن حيل العدو كثيرة .. إن أتاك مرض جسدى افرح لأن الإكليل قريب ، وإن أتاك الضجر انتظر الصبر من الله ، إن حدثت لك خسارة أرضية تذكر يوم النياح ، وإن أفاك ظلم كن طويل الأناة لأنه قرب من يبرر

إن نلت شتائم واضطهادات فداوم الفكر فى آلام المخلص يسوع المسيح .

+ أيها الحبيب اسمع الرسول يقول « قاوموا إبليس فيهرب منكم .. » وصل عنى أنا الشقى لأن خطاياى قد علت رأسى ، وليرحمك الإله الصالح ويبلغك إلى ملكه ومجده لأنه هو رجاؤنا .

+ إن رأيت تاجراً قل لفكرك يا نفسى إن ذلك الإنسان يصبر على هذه الأتعاب
ليجمع الأشياء الوقتية ويشتهى هذه الفانيات .. فهل أتوانى فى الأشياء الباقية التى لا
تزول ؟!

+ إن أبصرت أناساً متخاصمين يتقاضون قل لفكرك : يا نفسى إن هؤلاء القوم لهم
هذا الاهتمام الذى أدى إلى الخصام لأجل أشياء غير نافعة ، وأنا مدين بربوات قناطر
أفلا تسجدين لله كما يحق لتتالى الصفح ؟!

+ إن رأيت الذين يبنون البيوت قل لنفسك إن هؤلاء يحرصون لإتمام تلك البيوت ،
فلماذا أنا أتهاون بالمساكن السماوية ؟!

إن ذكر تلك الأمور ليس له نهاية .. لكن يجب أن نستبدل ما نبصره فى هذا العالم
بأشياء روحانية !.

.. من يعطى لعينى ينبوع دموع .. لأبكى على خطاياى نهائياً وليلاً ، وأقول للضحك
ابتعد عني ، وللدموع تعالى لأن خطاياى كثيرة جداً أمام الرب وهفواتى ليس لها
عدد !.

+ أشير عليك بأن تسلك فضائل الآباء والأخوة الأبرار وكيف كان كل منهم
متدرباً بالسلاح الروحى ، فتربى فى واحد إيمانه الذى لا يتزعزع ، وآخر اتكاله على
الله ، وآخر فيه المحبة الكاملة لله والقريب ، وآخر يسلك بمخافة الله فى سيرة حية بلا
لوم حافظاً نفسه من كل أمر خبيث ، وآخر يتدح لأجل سيرته الحسنة .

صر مشابهاً للذين صاروا مثل الكواكب ، أحدهم عندما يحارب من العدو بالآلام
متدربة فإنه يهرب إلى الله بالصلاة ويلتصق بالخشع ليأخذ معونة النعمة ، ويغلب
تلك الأفكار الشريرة .

وآخر يتوب عن الزلات بكاء غزير نالماً على خطاياها معترفاً فى الصلوات والأسفار
ويشقى جسده بالصوم والتعب والدموع على الأرض والحزن .

فجاهد محارباً كجندى إلى الموت .. لأنه بجهاد كثير يكون خلاص النفس ..

+ بالمسكنة والفقر والضيقات الكثيرة يستطيع كل أحد أن ينال الخيرات الكثيرة المعدة للصديقين، لأن الباب ضيق والطريق كرب المؤدى إلى الحياة الأبدية .

+ انظر إلى سير القديسين ومائل أحدهم في الصلاة، وآخر في صفاته، وآخر في ورعه، وآخر في تواضعه ... وهكذا .

إن هؤلاء الكواكب يضيئون أمام عينيك كل يوم فاسلك في ضيائهم واقضى آثارهم لتدخل معهم المساكن الأبدية ..

منطق حقويك واشعل مصباحك منتظراً ومستعداً لإستقبال سيدك .

+ كن مثل شجرة حسنة الخضرة ، حاملة أثمار الفضائل ، واحذر من دودة الكبرياء لثلا تفسد تواضعك، ولا يسرق الكذب صدقك، ولا يغش السج الباطل تخشعك، ولا يسلب الغضب طول أناتك، ولا تفسد الخصومة سلامك، ولا يقطع الحقد المحبة .

لا تشوه اللذة شوقك إلى الله فتخسر نعيم الفردوس .

لا تجنح يميناً أو يساراً لثلا تسقط في هوة الخطية فتموت، بل جاهد طريق وصايا الله للسعى للملك السمائي، وصل عني .

+ استيقظ أيها الحبيب بقظة جزيلة في شبابك لتوجد في أواخرك مؤدباً مختبراً .

+ لا تقل إنى شاب و يليق بى أن أعيش سنياً أخرى كثيرة فترح الآن وتنعم وعند شيخوختك تتوب . أما تعرف أيها الأخ أن العدو يطغيك بهذه الأقوال، لأنه وإن كنت وأنت شاباً في عنفوان حدثك تستطيع أن تصبر على الأتعاب وتحمّل كل نكس ولا تتوب، فإن شخت ألا تتعطل بضعف الشيخوخة؟! إن أهملت التوبة في حدثك ماذا تعمل؟ فاسمع إذن صوت السيد الحقيقي القائل اسهروا إذن وصلوا لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة!

+ إن العدو لا يكف مقاتلاً لك نهراً و ليلاً فاحذر لثلا يجد عقلك متشاغلاً عن وصايا الله فيزرع زوانه ويجعل الأواخر أشر من الأوائل .

صلاة للقديس

أيها المتحنن الطويل الروح ، يا من تحب أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون .

الآن قد أمضيت حياتي في الباطل ، وعشت زماني في الأفكار الدنسة ، فأعطني شفاء لجراحاتي وأيدني بنعمتك لكي أعمل بنشاط في كرمك ولو ساعة واحدة كما فعل أصحاب الساعة الحادية عشر .

دبر سفينة حياتي بوصاياك ، وأعطني فهماً لكي أتاجر بالوزنات مادام لي وقت قبل أن يقال لي هلم أرني تجارة زمانك ..

إن ساعة الموت تخيفني أنا الشقي عندما أبصر أعمالى ، وأنظر إلى توانى .. ويلي أنا الشقي وماذا سيكون جوابى أمام الجالس للحكم والدينونة؟!!

فالآن يا نفسى الشقية ارجعى إلى ذاتك قبل أن تأتى هذه الساعة المخيفة . جاهدى على الدوام .. قدمى له ذبائح الشكر والتسبيح وكل عمل يرضيه ، فإذا حان وقت الفراق تكونى متسرلة بحلة الطهارة ، ومتمنقة بالنشاط لتنتظريه بفرح عظيم ..

يا نفسى تحررى من الآن من هذا العالم ومصائبه واثبتى كل حين في الله ، اصنعى ما يرضيه واسلكى في طريقه ، لأنك إذا أحببت الله من كل قوتك لا ترهبى ساعة الموت بل تفرحين به إذ تفارقى هذا الجسد .

خلصنى ياربى يسوع وأعطنى ألا يكون فى قلبى وذهمنى سوى أن أكمل مشيئتك .. أهلى أن أصير مشاركاً للقديسين الذين أرضوك .

لأن لك المجد والبركة والقوة إلى أبد الدهور آمين .

الفصل الثاني عشر:

الصبر والاحتمال

« الذي يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص »

(مت ٢٤ : ١٣)

+ ليس للصبر شيء يعادله إن امتزج بالتواضع !.

موهبة الصبر يعطيها الرب للذين يحبونه ، والذين يتمسكون به ينقذهم الله من أحزان كثيرة..

بغير الصبر لا تبني برجاً وبدون معرفة لا تقتن فضيلة ..

لا يوقد سراج بدون زيت ، وبدون الإيمان لا يقتنى العزم الصالح ، ومن يرفض الأدب يبغض ذاته ، ومن لا يرفض التوبيخ يجب نفسه !.

من يؤثر أن يصير وارثاً لله بالإيمان .. فليتمسك قبل كل شيء بالصبر وطول الروح ويجب عليه أن يتحمل بشجاعة الضيقات والشدائد إما أمراض وآلام جسدية ، وإما تعبيرات من الناس ..

+ قال الرب من لا يحمل صليبه كل يوم ويتبعني فلا يستطيع أن يكون لي تلميذاً..

+ إن العدو يلقي في النفس الضجر وصغر النفس لئلا يكون لها رجاء.. فتأمل كيف أن الآباء رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والشهداء عبروا طريق الأحزان فاحتملوا الآلام وتلاذذوا بالضيقات ، فنالوا الأكاليل السمائية !.

+ ويقول يسوع بن سيراخ « يا ابني إن تقدمت لتخدم الرب أعد نفسك للتجارب قوم قلبك واصبر» .

+ جميع الشدائد التي تأتيك أقبلها كالصالحات فبغير علم الله لا يكون لك شيء من هذه جميعها .

+ يقول الرب « طوبى لكم إذا طردوكم وعيروكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجل أني كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات» .. كما قال « طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات » (مت ٥) .

+ ويقول بولس الرسول « لم تصبكم تجربة إلا بشرية ولكن الله أمين لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا»

(١٠٥ : ١٣).

وكتب أيضاً « بل نفتخر أيضاً في الضيقات عالمين أن الضيق ينشئ صبراً والصبر تذكية والتذكية رجاء والرجاء لا يجزى لأن عجة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا » (رو٥ : ٣ - ٥).

+ وقال الرب من يصبر إلى المنتهى يخلص .. وبصبركم تقتنون أنفسكم .. فمن يثبت في الرب لا يجزى .. ومن يترجاه لا يرد.

+ الناس يميزون بعقلهم مقدرة تحمل كل من البغل أو الجمل والفخارى يتقن صنع الأواني في أتون النار لكي توافق استعمال الناس فلا يتركها زيادة لئلا تحترق أو يتركها أقل لئلا تتلف فإن كانت هذه الأمور في الأشياء الفانية، فكم بالحري معرفة الله التي لا تدرك ولا قياس لها، إذ بحكمته يعلم ما تحتاج إليه كل نفس بشرية من الضيقات والتجارب التي تؤهلها لملك السموات والحياة الأبدية!

+ القنب لا يصير غزلاً دقيقاً إن لم يدق ويمشط كثيراً وبمقدار ما يدق ويمشط يصير نقياً أيضاً، هكذا النفس التي تحب الله بالمحن والتجارب والصبر على الأحزان تصير في روحانية تؤهلها لميراث ملكوت السموات ..

+ الطفل لا يبنى مدناً ولا يغرس غروساً، هكذا النفس التي تهرب إلى راحة الجسد ولم تختبر بالأحزان والتجارب لا تصلح للملك.

+ إن صغر النفس هو سهم العدو الذي به جرح كثيرين، فلنأخذ الصبر سلاحاً لصغر النفس، ولنردد القول « تشجع وليتأيد قلبك. اصبر للرب » وهذا القول يوافق أن صمنا، إن سهرنا، إن صلينا، إن صنعنا شيئاً آخر ..

+ جاهد ما دمت تجد وقتاً لتحصد، ارفض الجسد والسبح الباطل.

+ مغبوط بالحقيقة ذلك الإنسان المقتنى طول الروح .. فهو جزيل العقل، ويكون في سرور كل حين، فرحاً في الابتهاج لأنه يتكل على الرب ويترجاه، الطويل الأناة بعيداً عن الغضب، لا يميل إلى السخط سريعاً ولا إلى الشتيمة والأقوال الباطلة، إذا ظلم لا يحزن ولا يقاوم، متيقظاً في كل وقت، لا يميل إلى الخصومة، يفرح بالأحزان،

يتوق إلى كل عمل صالح ، إذا أمر لا يجاوب يشفى نفسه بطول أناته .

+ مغبوط يا أختوى من اقتنى الصبر لأن الصبر فيه رجاء والرجاء لا يجزى .. لأن من يصبر إلى المنتهى فذاك يخلص .

+ الصبر فيه فضائل كثيرة . لأنه بالصبر يلامس كل فضيلة ، يسر بالأحزان يحسن في الشدائد ، يفرح بالضيقات ، كامل في المحبة ، يبارك في الشتائم يسالم في الخصومات ، شجاع في السكوت ، لا ينقطع عن الترتيل ، مستعد للأصوام ، صابر في الصلوات ، حسن الجواب ، يهتم بالسيرة الفاضلة ، يسر بالخدمات ، صالح في جمع الأخوة ، مهمل القلب ، حريص على الأسهار ، يهتم بالغرباء ، يعتنى بالمرضى .

+ المقتنى الصبر يتزين بكل عمل صالح ويقول « صبرت للرب صبراً فأصغى إلى » .

+ يا حبيبي احم الضعيف فإن القوى لا يحتاج إليك لأنه قد كتب أن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى ، فاحملوا ضعف الذين لا قوة لهم .

+ إن العدو يسلمح الأخوة المتوانين كثيراً على الحريصين جداً لكن الحريصين يجدون في المتوانين صناعة مفيدة إذا حملوا أمراضهم من أجل الرب .

صلاة للقديس

إلهى إننى لا أعرف آخر سواك ، فأنت الذى تمنح الشفاء لكافة الذين يتقدمون إليك .. أنت الذى تتحملنى من أجل تحننك ، لأن الأم فى حنانها لا تحتل أن تترك طفلها وإن خالفها إذ تحننها يغلب ذلك .. فإن كانت الأم كذلك فكم بالحرى حنانك؟! .

سيدى إن الطيور تسكب حنانها على فراخها وفى كل ساعة تفتقدتها وتغذيها بتعب .. فإن كانت المخلوقات الغير عاقلة لها هذا الحنان فكم بالحرى تحننك الذى هو ربوات أضعاف!! .

أيضاً عين الماء تنبع بلا انقطاع وتمنح ماؤها للمقبلين إليها بلا حسد ودون مديح

من البشرية .. بل ويمدحونك بها لأنه من أجل إحساناتك تمنح تلك العيون المياه
الكثيرة .. وكم بالحري لجة رأفاتك التي لا يمكن حصرها فهي ترى كل السمائيين
والأرضيين وأنت غير محتاج لمديح منها لأنك أنت المجد في عظمتك وقدرتك الفائقة ..

إن محبة نعمتك تعتنق وتقبل كل من يقبل إليك .. إذ تفتح له قِبل أن يقبل إليك ،
وقبل أن يجثو ساجداً تمسكه بيدك ، وعندما يقدم التوبة تعطيه غفراناً ..

وكما تقدم التلاميذ إليك في السفينة وأيقظوك ، وبصوت فمك المبارك هدأت
رياح البحر هكذا استجب توسلاتي إليك ..

الأطباء تعبوا اثني عشر عاماً ولم يستطيعوا أن يشفوا نازفة الدم .. أما أنت فممنحتها
الشفاء فأرح نفسى الخزينة من تعبيرات العدو .. أيها الطبيب المتحنن اظهر في حكمتك
واشف جراحاتي وأثر في جمال الفضيلة .

لأن لك المجد والإكرام إلى أبد الأبد .

الفصل الثالث عشر:

تعاليم متنوعة

علمنى يارب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية

(مز ١١٩ : ٣٣)

- + اتخذ يا أخى الأدب منذ حداثتك فتجد حكمة وفهماً في أوان الشيب .
- + من يشمت بسقطة الآخرين ، فإنه يسقط مضاعفاً .. ومن يرد إنساناً من طريق ضلاله يخلص .
- + إن رأيت ناسكاً بيده أطعمة فلا تدينه لأنك لست تدري لمن يقدمها !؟
- + من يضبط عينيه يستر نفسه ، أما طموح الشهوة يضل العقل ..
- + هل يمكن لجزيرة في البحر ألا تلمطها الأمواج ، كذلك نحن لا يمكننا أن نقطع ورود الأفكار لكن يمكننا أن نصدها ..
- + أربعة آلام تقبل الشفاء بصعوبة :
- حبة الذات ، حبة الفضة ، السبح الباطل ، السعى للرئاسة .
- + اقتلع الأكم قبل أن يتأصل فيك ، وقيل أن يغرس جذوره ، اقتلعه من أسفل الحفرة ، فإن أهملته فإنه يسود عليك ..
- + من يصلى بيقظة فإنه يبدد الشياطين ، ومن يصلى متنزهاً فهو مغلوب منهم .
- + عدم الأمانة تنتج تراخي النفس ، وتراخي النفس ينتج التواني والتواني ينتج النسيان ، والنسيان ينتج الغفلة ، والغفلة تنتج اليأس واليأس ينتج الموت !.
- + النفس المتوانية لا تقرأ الكتب بفهم ، أما النفس اليقظة فإنها تقبل الأقوال الإلهية مثل أرض عطشى إلى الماء .
- + لا تحبس خروفاً مع ذئباً ، ولا تدخل إلى بيتك ما يحاربك به العدو ، ولا تتراخ للفكر بل ضع حخافة الله أمام عينيك .
- + البيت المبنى على الرمل لا يثبت ، هكذا النسك المختلط بمديح الناس لا يثبت .
- + إذا قمت لتسبح الله ردد قول الله أرتل لإلهي ما دمت موجوداً لثلاث تأتيك أفكاراً غريبة ترعج ذهنك ، لكن رتل بالروح ورتل بالذهن .. الدموع في الصلاة موهبة عظيمة

.. وقلب ينشغل عن السمائيات يربطه الشياطين بالأرضيات .. إذا تهاونت بالفانيات
تأخذ الباقيات ..

+ الدخان يطرد النحل هكذا الرذيلة تطرد المعرفة ..

+ اجتهد أن تقتنى الإفراز الذى هو كنز الفضائل .. وتكلم بأقوال نافعة ..

+ أتوثر أن تكون عظيماً كن آخر الكل ، ولتقتنى إسماً صالحاً اجعل أعمالك
بوداعة ..

+ لا تصنع بإنسان آخر سوءاً ولا تشارك الذى يصنع الشرف إن الله يفحص القلوب
والكلى .. ولا تترفع عليه ولا يكون محتقراً فى عينيك لأنك لا تعلم ماذا يكون الغد!
« ومن يظن أنه قائم فلينظر ألا يسقط » ..

+ « الله يقاوم المستكبرين أما المتواضعين فيعطيهم نعمة » فإذا أبصرت إنساناً
هادئاً متواضعاً اعلم أن أصله سيئبث لأن لديه مخافة الله ..

+ من وجد طريق طول الأناة والصبر فقد وجد طريق الحياة ..

+ عصفور يستدعى عصفير معه إلى القفص ، والخطيء يستدعى من مثله إلى
الشرور .. فتمثل بالحارين بالروح السالكين فى الطريق الضيقة لتدرك الحياة الأبدية
لأن الطريق الواسعة ترشد سالكيها إلى الهلاك ..

+ من يحسد أخاه على نجاحه يبعد نفسه من الحياة الدائمة ، ومن يشدد أخاه يكون
شريكه ..

+ جيد أن تقطع الغضب بالبشاشة أفضل من أن تصير وحشاً مثل النمر .. والإنسان
الحكيم يجد لذته فى البكاء أكثر من الضحك ..

+ من يعطى فمى حكمة وشفتى حصناً لئلا أهلك لأنك يارب قلت « بكلامك
تبرر وبكلامك تدان » .. ربي اغفر لى أنا الخطيء ولا تعطنى طموح عينى وأبعد عنى
كل شهوة رديئة ..

- + أيها الحبيب لا تصدق الأحلام الخادعة فإن كثيرين أضلتهم وسقطوا.. فأى قدر قد بلغنا حتى نعاين مناظر ملائكة؟! التواضع نجاح عظيم ولا سقوط فيه ..
- + من يرحم المساكين يشبع من الخيرات ، ومن لا يرحم يعلق عليه السماء ، من يتكل على الرب ينجو، ومن يتكل على إنسان لا يعاين الخيرات !.
- + الأطعمة الكثيرة تطغى على الذهن والنسك الجيد ينقيه ..
- + من يحفظ الوصايا يحب نفسه ومن يتهاون بها يخسر نفسه !.
- + المتكبر والغير مطيع يرى أياماً مرة ، والمتواضع القلب الصبور يسر بالرب كل حين فالإنسان الصابر والمتواضع لا يوجد مثل جماله !.
- + لا تكن يدك ممدودة للأخذ مقبوضة عن العطاء ..
- + العاقل يحصن ذاته بالمحبة ، والجاهل يكتز البغضة ، لا تحتقر أماً لأنه كتب أن أمراء كثيرين قد افتقروا، بينما كثيرون لم يفكروا في ذلك ولبسوا التاج !.
- + الحكمة الحقيقية هي أن تعمل كل شيء حسب مشيئة الله .
- + الحسن الخلق كثير الأصدقاء ، والمحب الرب يحفظ وصاياه .
- + أكرم الشيوخ من أجل الرب ، وشارك الشاب المتألم فتأخذ أجرك من الرب ..
- + اهرب من الخطية لئلا تحرق جسدك مع نفسك في النار التي لا تطفأ ..
- + الإيمان يلد الطهارة ، والاتضاع والطاعة يلد طول الأناة والنسك ، أما التوبة فتلد الدموع، والمحبة تلد الصبر والرجاء ..
- + اختر التأديب فتجده في شيخوختك ، وازرع حقلك في أيام شبابك لئلا ينبث فيه شوكتاً .. وإذا أعطيت موهبة فلا تملو بذهنك لأنه ليس فيك شيئاً جيداً ما لم تأخذه من الله ..
- + الرجل العاقل يحفظ وصايا الله ، ومن يحفظها يقتنى فردوس النعيم ، اسم صالح

أفضل من غنى جزييل، النعمة الصالحة أفضل من الذهب والفضة.. أعط الإنسان اليائس كلام تعزية فيشدد الرب قلبك..

+ أكرم الجميع من أجل الرب ولا تطلب إكراماً فتجد نعمة لدى الرب..

+ لا تعط سمعك للأقوال الرديئة لتلا تدنس فكرك لأنه كما أن الدخان يضر العينين هكذا الكلام الرديء يضر النفس..

+ حيثما لا توجد مخافة الرب لا توجد حكمة وعقل.. وكثير الكلام لا ينجو من خطيئة.. في أفكار الصديقين حكمة أما المنافقون فتديبرهم غش، من يقدم الآخرين في الكرامة يجد إكراماً..

+ البطالة لذيدة لكن نهايتها مرة، وإن عملت فإنك تتعب لكن أخيراً تفرح.

+ من يتكل على الغنى يسقط، ومن يعضد الصديقين يتلألاً مضيئاً، من يفرق ماله بجهل ويبدده يصير محتاجاً، ومن يفرقه بإيمان في الرب لا يخذل إلى الأبد، لأنه كتب فرق أعطى المساكين وبره يبقى إلى الأبد.

+ اسكب دموعاً قدام الرب، ولا يسكن في قلبك حقداً فتكون صلاتك مثل بخور يصعد أمامه.

+ النهم البطن يهتم بأشياء كثيرة أما الناسك فيضاهى غزلاً في غابة.

+ إن شئت ألا تخطيء احفظ مخافة الله، وتفكر أن الخطيئة مثل الجبال العالية أو لجة البحر المرعبة، أو مثل لهيب النار الآكلة، وأن العدو يحرص أن يصغرها في عينيه إلى أن تسقط فيها.. قبل أن تبدأ أمراً ما تظن في نهايته.. فليس صعباً أن يعرض شيئاً رديئاً، لكن الرديء هو الاستمرار في الشر..

+ إذا حدثت مخاصمة بين أثنين فإن تاب الأول يأخذ إكليل الغلبة، ويكفل الثاني إن قبل التوبة..

+ الذى يرضى الناس يحرص أن يرضى كثيرين ليس من أجل الرب أما المتقى الرب فيحفظ وصاياه، ويسلك في نورها.

+ الغضب للإنسان حفرة، ومن يغلب الغضب يعبر تلك الحفرة قفزاً.

+ من يجب الأدب يجب الحياة ، وكما أن الجليد والثلج ينقصان خضرة النبات هكذا الخطيئة تنقص القلب . أيضاً كما يزهر النبات عند سقوط الأمطار هكذا القلب يزهر بالأعمال الصالحة ..

+ الغضب وكثير الصياح يكون كثير الخلفان ، أما الصامت فهو حكيم الغضب هو عدم الحياء والحجل ، ويعقبه الندم والحزن .

+ أيها الحبيب لا تفحص كثيراً كيف هذا أو ذاك ، بل آمن بالرب وصدق أقواله وهو يضيء ذهنك ، لأنه بمقدار الإيمان تكون النعمة للنفس ، فالرب صادق في جميع أقواله ، وبار في كافة أفعاله ..

+ الفكر المشغل بالأمور الأرضية غير مختبر للفضيلة ، من يجب السلام يرث السلام ..

+ الإنسان الوديع يجمع الغضب ويرده ، وكما أن البلوط يربى الخنازير هكذا الأفكار الخبيثة تربي الشهوات الرديئة ، الغضب والحقد يشابه سم الأفاعى لأنه يغير الصورة ، ويحبط العقل ، ويضعف القوة ، أما المحبة والوداعة فإنها تبطل هذا كله ، وعلاج الحقد هو تذكركم مخافة الله ويوم النياح .

أيها الحبيب تذكر نهايتك وكف عن الحقد ، وتذكر الموت لأنه بعد قليل ستدخل إلى القبر فهذا العمل الردىء ماذا ينفعك؟!

+ أيها الحبيب احمِل الضعيف فإن القوى لا يحتاج إليك ! وقد كتب أن الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب بل المرضى ..

إن رأيت إنساناً نال رتبة عظيمة على الأرض لا تعجب من هذا . فالأعجب من هذا هو أن يبغض الإنسان المجد الأرضى !

إن ظهرت أمام أخوتك مثل الذهب النقى فتفكر في ذاتك إنك مثل إناء لا حاجة له لتفعلت من الكبرياء المرذول من الله والناس .

+ إن شاهدت إنساناً أخطأ بالأمس فلا تنظر إليه كخاطيء لأنه قد يكون عمل صالحاً بعد ذلك ، وذلك يبعثنا عن الإدانة ..

- + جميع حطب الغابة لا يشبع النار ، وأيضاً الجسد لا يشبع نياحاً .
- + كن مصلحاً للآخرين لتدعى إبناً لله ، محبة مخلصنا يسوع المسيح هي أن ترذل المحبة البشرية التي تحوى نهم البطن ، السكر ، الحسد ، الشر ، الفجور ، الحزن الجسدى وأمثال هذه التي نهايتها الموت ..
- + صادق إنساناً يخاف الله ليعلمك مخافة الله ، ولا تصاحب المتهاونين ، وليكن الرب أمامك كل حين لأنه ينجى المتوكلين عليه . الرجل المتسلح مرهوب في الحرب واللابس الإيمان مرهوب لدى الأعداء الذين لا يرون !
- + النار يشعلها الحطب والغضب يشعله استعلاء الرأى ! فلكى تسكن الغضب اسلك طريق الوداعة والاتضاع ، فى الوديع والمتواضع تسكن روح الحكمة ..
- + أيها الحبيب لا تشهى الكرامة فتجلب لذاتك هواناً ، الكرامة الحقيقية هي أن تعمل كل شيء حسب مشيئة الله !
- + الراعى المستيقظ لا يسلم الغنم المؤمن عليها ، أما النائم فيصير صيداً للوحوش !
- + من لا يعرف الكتب يضل الطريق ، ويضل ضلالاً مضاعفاً من يعرف الكتب ويتهاون بها .
- + من يجب الطهارة والعفة يكون هيكلاً لله ، ذكر الموت والدينونة سيف لشیطان الضجر ، والمحب للغرباء حنطة نقية .
- + لوم الإنسان لذاته كل حين يهدم الخطايا ..
- + الضجر وعدم الإيمان ثماره مملوءة من سم الموت ..
- + العاقل يبذل نفسه فى الخدمة من أجل السلام ، والجاهل ينشئ خصومات ..
- + انتهر شیطان الزنا كما تطرد الكلب ، ولا تنقاد بالجملة لهذا الفكر ، فإنه بسبب شرارة تتكاثر النار ، كذلك بالفكر الردىء تزداد الشهوات الرديئة ، ابغض ذكرها أكثر من نثانة الحمأة ، لأنه كما يفرح الخنزير بمرغاة الحمأة ، هكذا تفرح الشياطين بالزنا والنجاسة .

في الطهارة يسكن النور العظيم والفرح والسلام والصبر، وفي الزنا يسكن الضجر
والنوم الذي لا يشبع منه والظلمة، والرسول بولس يقول أما الشهوات الشبايية فاهرب
منها ..

+ لتكن مخافة الله في قلبك مثل السلاح بيد الجندي ..

+ في جميع أعمالك تذكر آخرتك فإنك لن تخطيء ..

+ إن كان هناك لؤلؤة ستعطي لنا ألا نسارع لتأخذها؟ فإن كان ذلك الاهتمام
لأجل أمور أرضية، فكم بالأولى يليق بنا لأجل فائدتنا الروحية؟!!

كن حاراً بالروح مثل الآباء القديسين لتشاركهم ملكوت السموات ..

+ إن كنت تعمل وأتاك روح الزنا ارفع يداك للصلاة وإن ثقل عليك اخني
ركبتك فإن صلاة الإيمان تحارب عنك .

+ لا تنام وأنت حاقداً على أحد لئلا تزعجك الخيالات الشريرة في الليل .. لا
تتعظم على قريبك، نج أخاك من الخطية فينجيك الرب في يوم الدينونة ..

+ ليس ما يعادل الصبر إن مزج بالمحبة !.

أيها الرب أعطني أن أبصر خطاياي لئلا أدين أخى !.

+ الوداعة للمتقى الرب مثل سلسلة ذهب يلبسها الإنسان، وكما أن العسل حلو
في فم الإنسان كذلك الأقوال الإلهية حلوة لدى النفس التي تخاف الله .

+ إن أكلت خبزاً وشبعت فأعط مجداً للإله الذي أشبعك، وإن صرت إلى أقل من
شبعك فأعط مجداً للإله الذي أعطاك قوة، ولا تدين الذين يأكلون ..

+ لا تضحك على حزن إنسان، ولا تفرح بالذي عاد خائباً لئلا يسخط الرب
عليك ولا تجد ناصرأ لك يوم الحزن ..

+ لا يوجد أردأ من إنسان له ماء حلواً ولا يسقى نفساً ظامئة، وإنسان جالساً
بقرب عين ماء ولا يأخذ منه ما يسكن عطشه، أو من له كتاباً ولا يقرأ فيه .

+ الضجر يأتي بالإنسان إلى صغر النفس ، أو استعلاء الرأى ، ومن يحب الرب
ينجو من كلاهما ..

+ الكسلان يخسر أرباحاً كثيرة ، والمستيقظ لا يتهاون بساعة واحدة ..

+ الغير مطيع يذهب إلى مواضع كثيرة ، أما المتواضع القلب فيطيع الرب ،
المبتدئ الحكيم يسمع لمن أكثر منه في الرب ، أما الغير مطيع فيكون في أتعاب .

+ الماء يطفىء اللهب المشتعل ، والدموع في الصلوات تخمد الشهوات الرديئة ،
وكما تزدهر خضرة النخيل على الشاطئ هكذا تزدهر صداقة الأخوة في الرب .

من يكرم الذى أعظم منه قدراً يفرحه الذين أصغر منه ، وصلاته تستجاب ..

+ إن طلب منك المتوسط فى شىء فلا تتوان .. لأن يوسف توسط لأجل مصر كلها
وليس لمنزل واحد ، لذلك رفع الله من شأنه ..

+ الرجل المتدرع مرهوب فى الحرب واللابس الإيمان مرهوب عند الأعداء الذين لا
يرون .

+ غذاء النار الحطب وغذاء الغضب استعلاء الرأى .

+ كافة الحطب لا تشبع النار والجسد لا يشبع نباحاً .

+ نج أخاك من الخطية ينجيك الرب فى يوم الدينونة .

+ لا تسمع أخطاء الغرباء لئلا يصير خطأك مسموعاً لدى الكل .

+ يا أخى امتنع عن الخلاعة والمزاح لئلا تصير عادم الحياء . فتضيع غنى العفة .

+ من هو أوفر عجزاً ممن هو عطشان وهو جالس بقرب عين الماء ولا يمد يده لياخذ

ما يسكن عطشه ، ومن هو أكثر توان ممن يكون له كتاب يملكه ويتوانى عن القراءة
فيه ؟!

+ ضلالة الرجل ألا يعرف الكتب المقدسة ويضل ضلالاً مضاعفاً من يعرفها

ويتهاون بها !

+ كل يوم كل الخبز الذى تعطيه لك حكمة الله واشرب من الماء النابع من الصخرة الرومانية لينمو عقلك باستنارة العلم!

+ كيف يمكن أن نمنع الدخان من الدخول إلى باطننا وأبواب حواسنا مفتوحة.. إن كرهت الدخان فاحفظ أبوابك..

+ إننا نهتم جيداً بالبيت الذى من حجارة وطين وخشب لأجل أجسادنا والمنزل الذى أفضل من ذلك هل نهتم به!؟

+ أربعة أشياء لها شرف المناقب والخامس صالح لله والناس :

محبة الأخوة بوداعة وعدل ، وأخ يحفظ أخاه بمخافة الله وشباب يخضعون للشيخ ورئيس يحب أخوته كما يحب ذاته ويهتم بخلاص نفوسهم .

+ مجاوبة الأخ لقريبه بمحبة مثل العسل والشهد فى الفم ، ومثل الماء البارد للعطشان فى وقت الحر .

+ الأفكار الدنسة مثل الأشواك والقرطب فى زرع جيد .

+ الوقيعة تدنس النفس مثل السوس الذى يقرض الثوب .

+ العداوة فى القلب مثل الدودة التى تنخر الخشب .

+ لا تكرم محبة الفضة أكثر من هجر القنية ، ولا تحب والدك أكثر من المسيح ولا تسر بالمالم أكثر من ملك السموات .

+ لا يكن لك حب الشهوات أكثر من محبة الله ، ولا تشوه شوقك إلى الله ولا تخسر بسبب الأطعمة نعيم الفردوس .

+ لا ترفض إنساناً لئلا تسخط خالقه ، ولا تعير أحداً لأنك لا تعلم ماذا يصيبك ، لا تترفع بقلبك لئلا تسقط فتجلب لذاتك هواناً .

+ ملمون هو الحسد لأنه يجعل الأخ يبغض أخاه ، فجعل قايين يقتل أخاه هابيل ، وعيسو رام أن يقتل يعقوب ، وجعل يوسف مبعوضاً من أخوته ، فالحسد يلد البغضة ،

والبغضة تلد القتل ..

+ لا تحضروا أمامي فارغين (خر ٣٤) .

في الصلاة لا تكن قائماً بجسدك ، وعقلك يفكر في أمر عالمي فتصير قائماً أمام الله بلا شيء .. ومن يصلي بجسده دون عقله فهو يهين الله !.. لأنه قرب له أدنى ما عنده مثل قايين ، ولم يقرب له أفضل ماله مثل هابيل .

صلاة للقديس

يا ملك المجد أسجد لك معترفاً بخطاياي فإن رأفتك جزيلة .. يا محب البشر يا من تعرف ضمير التائب قبل أن يفتح فمه وتقبله . بكلمة واحدة تشفى جراحات الذين يطلبونك .

تقول فيصير للوقت إذ بكلمتك نهض المخلع حاملاً سريره . قلت للأبرص أريد فاطهر وللوقت ظهر برصه . دعوت الميت المنتن بعد أربعة أيام من القبر فخرج حياً . قلت للخاطئة مغفورة لك خطاياك فخرجت للوقت مبررة .

أيها الرب المتحنن قد أخطأت في السماء وقدامك ولست مستحقاً أن أنطق اسمك المجيد بشفتي الخاطئة .

أسألك وأتضرع إليك لا تطرحني من قدام وجهك تراءف على كالكس الذي قال لك اذكرني يارب . إنك قلت ما جئت لأدعو الصديقين بل الخطاة إلى التوبة فامنحني أنا الخاطيء أن أكمل سيرة حسنة وأقمنى أيها الحاكم العادل على يمينك في الدينونة .

لأن لك المجد والإكرام إلى أبد الأبدين آمين .

المراجع

- ١ - الكتاب المقدس وقاموس الكتاب المقدس .
 - ٢ - الخولا جي المقدس طبعة ١٩٠٢ م .
 - ٣ - الابصلمودية المقدسة .
 - ٤ - السنكسار .
 - ٥ - الدفنار .
 - ٦ - بستان الرهبان .
 - ٧ - السبع طلبات لمشاهير قديسي الكنيسة - دير السريان .
 - ٨ - حياة الصلاة الأرثوذكسية - دير السريان .
 - ٩ - سيرة الأنبا يحنس كاما وتاريخ دير السريان .
 - ١٠ - ميمر الميلاد المجيد للقديس مارأفرآم السرياني - دير السريان .
 - ١١ - ميمر الميلاد للقديس مارأفرآم السرياني - القمص تادرس يعقوب .
 - ١٢ - أمام عرش النعمة مجموعة صلوات الآباء - مكتبة المحبة .
 - ١٣ - بستان الروح ج ١ - مثلث الرحمت نياقة الأنبا يؤانس .
 - ١٤ - تاريخ الأدب السرياني - د. مراد كامل .
 - ١٥ - دموع التوبة - الأستاذ يوسف حبيب .
 - ١٦ - الحب الرعوى - القمص تادرس يعقوب .
 - ١٧ - اللآلئ المنثورة لمار أغناطيوس يعقوب الثالث .
 - ١٨ - اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية لمار أغناطيوس أفرآم ١٩٤٣ .
 - ١٩ - أعجوبة الزمان أو مارأفرآم نبي السريان لمار أغناطيوس يعقوب ١٩٧٤ .
 - ٢٠ - باقة من نصائح وعظات مارأفرآم السرياني - الأستاذ يوسف حبيب .
 - ٢١ - منظومة الفردوس لمارأفرآم السرياني ترجمة للأب روفائيل اللبثاني .
- 22 - The Nicene and Post Nicene Father vol 13 .
- 23 - Schaff history christion of church vol . 3 .

المخطوطات

٢٤ : ٢٦ - المخطوطات ٢٠٠ و ٢٠١ و ٣١٨ ميامر دير السريان .

٢٧ - المخطوطة ٤٤٥ طقوس - دير السريان .

٢٨ - المخطوطة ١٨١ نسكيات - دير السريان .

دوريات

٢٩ - مجلة الكرازة ١٩٦٦ م .

الفهرس

صفحة

٧	إهداء
٧	مقدمة الطبعة الأولى
٩	مقدمة الطبعة الثانية
١١	سيرة القديس مارأفرآم السريانى
٤١	أقوال القديس مارأفرآم السريانى
٤٢	الفصل الأول : اليقظة وعدم التأجيل
٤٧	الفصل الثانى : محاسبة النفس والاستعداد
٥٦	الفصل الثالث : تذكر الموت والدينونة
٧٣	الفصل الرابع : التخشع والدموع
٨٢	الفصل الخامس : تبيكيت الذات
٩٨	الفصل السادس : الرجاء
١١٠	الفصل السابع : توبة المرأة الخاطئة
١١٩	الفصل الثامن : مخافة الله
١٢٤	الفصل التاسع : محبة الله
١٢٩	الفصل العاشر : الاتضاع
١٣٤	الفصل الحادى عشر : الجهاد الروحى
١٣٩	الفصل الثانى عشر : الصبر والاحتمال
١٤٤	الفصل الثالث عشر : تعاليم متنوعة

مشاهير الآباء صدر منها :

- ١ - القديس مارأفرآم السريانى - سيرته وأقواله .
- ٢ - القديس برصنوفىوس - سيرته وأقواله .
- ٣ - القديس شيشوى - سيرته وأقواله .
- ٤ - القديس يوحنا التبائس - سيرته وأقواله .
- ٥ - القديس يحنس القصير - سيرته وأقواله .
- ٦ - الآباء السواح .
- ٧ - القديس بيمين - سيرته وأقواله .
- ٨ - القديس أرسانيوس - سيرته وأقواله .
- ٩ - الشهيد إيسيدورس - سيرته ومعجزاته .
- ١٠ - الشهيد يوليوس الأفهصى كاتب سير الشهداء .
- ١١ - القديس أنطونيوس - سيرته - رسائله - أقواله .
- ١٢ - القديس الأنبا أبرآم والأنبا جاورجى .
- ١٣ - أمير الشهداء مارجرجس - سيرته - معجزاته .
- ١٤ - مدينة الشهداء إسنا .
- ١٥ - القديس صرابامون أبو طرحة - تحت الطبع .

وكتب روحية أخرى :

- ١ - ميامر السيدة العذراء مريم .
- ٢ - ميامر رئيس الملائكة ميخائيل .
- ٣ - الأعياد السيديّة الصغرى .
- ٤ - الصليب في حياتنا .
- ٥ - روحانية آحاد كيهك .
- ٦ - روحانية آحاد الصوم المقدس .
- ٧ - تفسير أناجيل أسبوع الآلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد فقد حضر

الجلسة العلمية

التي أقيمت في

مبنى كلية الشريعة

بجامعة القاهرة

✦ مكتبة ✦
مركز السيدة العذراء (السِّيَاه)